توجيه القلوب والاجساد إلى الصلاح وترك الفساد

إعـــــداد

م.م تكليف لطيف رزج
جامعة الانبار
كلية العلوم الاسلامية

م.م ايسر فائق جهاد الآلوسي
جامعة الانبار
كلية العلوم الاسلامية

Guidance to hearts and bodies and leaving decay

Adopted by m.m taklef latief rizing m.m aisar faik gihad al-alousi

Summery research :-

١- good bodies have relations to good hearts a heart has a relation to body when a heart goes a way from legislation disturbance comes and health destroys.

٢- one doesn't speak match with out remembering Allah to avoid heart- hearted .

٣- to leave sins and com near to good people .

٤- it is easy it make heart good after decay when one notices himself and behaves well.

٥- good heart has advantages to human beings when life ends

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سـيدنا محمـد الهـادي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :ـــ

فإن النظر فـي آيات القرآن الكريم تعطي العقل انفتاحاً ، والذهن تبصّراً ، والـنفس همّةً والجسد نشاطاً ، والقلب سلامةً ، والصدر انشراحاً كيف لا وهو كلام رب العالمين ، لقد قسم القرآن الكريم القلوب إلى ثلاثة أقسام ، قسـم واحد منها كتبت له النجاة ، أمـا الآخران فهما مفتونان حيث قال تعـالى :M } | { z y x w v u

وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن

L ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ | µ ´ ³ ² ± °

(الحج:٥٣ـــ٥٤).

جاء في تفسير هذه الآيات مانصه : ((فجعل الله تعالى القلوب فـي هـذه الآيـات ثلاثة: قلبين مفتونين ، وقلباً ناجياً . فالمفتونان ، القلب الذي فيه مرض والقلب القاسـي، والناجي : القلب المؤمن المخبت إلى ربه ، وهو المطمئن إليه الخاضع المستسلم)) [1] .

فالقلب قياساً بالجسد حجمه صغير ، ولكنه بوظيفته أكبر من الجسد بل حيـاة الجسـد متوقفة عليه ، لذا نجد القرآن الكريم قـد أشار إليه فـي أكثر مـن موضع واصفاً إياه بالمرض تارةً وبالقسوة تارةً أخرى ، وبالسلامة تارةً أخرى . ولكل وصف لـه أسـبابه ومقدماته مع الإشارة أيضاً إلى كيفية التعامل مع كل وصف من تلك الأوصاف .

القلب طبياً وعلمياً له وظيفة مهمة ، وهي نقل الدم والغذاء بـين الأوردة والشـرايين وبعبارة أخرى: أي خلل أو توقف أو تعطل لهـذه الوظيفة يعني مـوت الجسد، أو توقف أجزاء مـن الجسد وهـذه المهمة التي يقـوم بها يستوي فيها ويتمتع بها كـل البشـر، الكافر، والمنافق، والمؤمن في ذلك سواء .

أما القلب في منظور القرآن الكريم والسنة النبوية ، فهناك اختلاف كبير فالقلوب كمـا جاء ذكرها في القرآن الكريم أقسام كما مر ذكره ، وأي إنسان علـى وجـه الأرض إذا

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : إبن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبـد الله (ت٧٥١هـ) /١٠:١ ، تحقيق / محمد حامد الفقي ـ دار المعرفة ، بيروت ، ط/٢، ١٩٧٥م .

سلك طريق الهداية وأخذ بأسبابها فإن الله تبارك وتعالى يفتح له طريقاً نحو لين القلب وخشوعه وإنابته بالذكر تارة ، والموعظة تارة ، وبتلاوة القرآن الكريم تارة أخرى . وهذه الأسباب هي التي تجعل من قلب الكافر أو المنافق مؤمناً ، وهذا الإيمان يعم خيره وفضله على سائر الجسد أو على صاحب القلب . أما إذا ركن الإنسان إلى ملذاته وشهواته بين أصحاب السوء تارةً ووسوسة الشياطين تارةً أخرى وأخذ بأسباب الغواية وسلك طريقها وأعرض عن تعاليم الله ورسوله فإنه يفتح له طرق اللهو واللعب ثم الابتعاد ثم يكون الران على قلبه ، وقد يطبع الله تعالى أو يختم على قلبه وهذه خسارة الدنيا والآخرة .

هناك أمراض تهدد هذا العضو المهم في الجسد ، وهذه الأمراض نوعان أو قسمان: عضوي يصيب العضلة أو المضخة التي تقوم بضخ الدم في العروق ، وغير عضوي أو باطني وهو يصيب صاحبه وينعكس هذا المرض على سلوك وتصرفات صاحبه مثل (الغضب والحسد والحقد والرياء والكبر والبخل والعجب) وهذه الأخيرة قد نهانا الشارع عنها وحذرنا منها ، لأنها ذنوب وهي محط غضب الخالق جل شأنه ، أما الأمراض العضوية فقد حذرنا منها الطب الحديث ووضع لها أسباباً ومقدمات وأعراض تظهر على الجسد أيضاً وهذه لم تكن موجودة في زمن الوحي .

هناك علاقة بين هذين القسمين من الأمراض فمن اجتنب ما نهى عنه الشارع من الأمراض الباطنة في القلب فإن الله يجنبه من الأمراض العضوية التي قد تصيب القلب مثل الجلطة والسكتة والذبحة الصدرية ، وهذا ما تم اكتشافه مؤخراً طبياً وعلمياً ومن هنا يكون فهمنا لما أخبر به المصطفى ﷺ عن آخر الزمان من ظهور موت الفجأة. ولعل ذلك يمكن تفسيره بالحديث الآخر الذي رواه عبد الله بن عمر حيث قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال:(يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:- لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاّ مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلاّ سلّط الله

عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيّروا مما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم)[1] .

ولقد سلم الرعيل الأول منها ، لأنهم انتهوا عما نهاهم عنه الشارع ولقلة الذنوب والمعاصي ولسلوكهم طريق التوبة تارةً والاستغفار تارةً أخرى . فأنعم الله عليهم بقلوب سليمة وأجساد صحيحة خالية من الأمراض والأسقام فلأجل تحقيق سلامة القلوب والأجساد لا بد من توجيهها إلى ذلك في هذا البحث والذي جاء بعنوان (توجيه القلوب والأجساد إلى الصلاح وترك الفساد) .

لذا جاء البحث مقسماً على فصلين : الفصل الأول ، في مفهوم القلب وأنواعه وفيه مبحثان، الأول منها تناولنا فيه تعريف القلب لغةً واصطلاحاً وما يتعلق به من تسميات جاءت في القرآن الكريم .

أما المبحث الثاني : فقد تناولنا فيه أنواع القلوب وأحوالها وأسباب صلاحها، وقسّمته على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : في أنواع القلوب المؤمنة وأحوالها .

أما المطلب الثاني : جاء في أنواع القلوب الكافرة وأحوالها .

والمطلب الثالث : في أسباب صلاح القلوب . وفيه ثلاث مقاصد :

المقصد الأول : التوبة .

والمقصد الثاني : في ملازمة الإستغفار .

والمقصد الثالث : في ملازمة الصحبة الصالحة .

أما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه القلب صحته ومرضه بين الطب والشرع .

ثم جاءت الخاتمة بمجموعة من النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث ، وحسبي أن أقول : اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا واجعل لنا من كل ضيق مخرجا ، ونحن نسعى ببحثنا جاهدين نبتغي الدعوة لهذا الدين بما أعطانا الله وبما مكننا فيه عسى أن يقبل العمل وأن يتقبل منا النوايا والله من وراء القصد وهو يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

---

(١) سنن إبن ماجه : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني / ١٣٢٢:٢ ، برقم : ٤٠١٩ باب العقوبات تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) .

الفصل الأول

مفهوم القلب وأنواعه

المبحث الأول: القلب وتسمياته في القرآن الكريم:

القلب لغةً : مضغةً من الفؤاد معلّقة [١] ، وما سمّي القلب إلاّ من تقلبه [٢] ، والعرب تسمي لحمة القلب كلها شحمها وحجابها قلباً وفؤاداً ولم يفرقون بينهما ، والقلب هي العلقة السوداء في جوفه [٣] .

القلب عند أهل التفسير قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر ، قال تعالى M **Ã Â Á** **Ñ Ð Î Í Ì Ë É È Ç Æ Å Ä** L(الفرقان:٣٢) ، وقال تعالى: M **x w v u** L(الشرح:١) ، يعني في الموضعين قلبك [٤] .

وقد يعبر عنه بالعقل ، قال تعالى : M **3 2 1 4 5 6 7 8 9 : ; < =** L(قّ:٣٧) ، أي عقل ، لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين والفؤاد محل القلب والصدر محل الفؤاد والله أعلم[٥] .

---

(١) ينظر : كتاب العين : أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) / ١٧٠:٥ ، تحقيق / مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ــ دار مكتبة الهلال (د.ت) .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٧١:٥ .

(٣) ينظر : لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) / ٦٨٥:١ ــ دار صادر ، بيروت ، ط/١ (د.ت) .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ) / ٢٣٢:١ ، تحقيق / أحمد عبد العليم البردوني ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/٢ (د.ت) .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٢:١ .

والمضغة ، القطعة من اللحم سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها ، قالوا : المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد [1] . قال الإمام النووي (رحمه الله تعالى): ذهب أصحابنا وجماهير المتكلمين أنه ــ العقل في القلب ــ وقال أبو حنيفة (رحمه الله تعالى):هو في الدماغ ، وقد يقال في الرأس وحكوا الأول أيضاً عن الفلاسفة ، والثاني عن الأطباء .

قال المازري : واحتج القائلون بأنه في القلب بقوله تعالى : M » º ¹ ¸ ¶ µ L Í Ì Ë Ê É È Ç ÆÅ Ä Â Á À ¿¾ ½ ¼ L (الحج:٤٦) ، وقوله تعالى :M = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 L (قّ:٣٧) ، وبقوله **النبي** ﷺ (ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[2] ، فقد جعل ﷺ صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب مع أن الدماغ من جملة الجسد فيكون صلاحه وفساده تابعاً للقلب فعلم أنه ليس محلاً للعقل.

واحتج القائلون بأنه في الدماغ، بأنه إذا فسد الدماغ فسد العقل ويكون من فساد الدماغ الصرع في زعمهم ولا حجة لهم في ذلك ، لأن الله ﷻ أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ مع أن العقل ليس فيه ولا امتناع من ذلك [3].

وقد أكد القول الذي يجعل القلب محل الفكر (القرطبي) (رحمه الله تعالى) حيث قال : ((القلب موضع الفكر)) [4] ، فالقلب كما جاء في عبارات بعض المفسرين : العضو الرئيسي الذي هو منشأ الحرارة الغريزية الممدة للجسد كله ويكنى بصلاحه وفساده لما بينهما من التعلق الذي لا يعلم حقيقته إلاّ الله ﷻ لذا قال ﷺ : (ألا وإن

---

(١) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) /٢٩:١١ ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٣٩٢هـ .

(٢) سنن الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (ت ٢٥٥هـ) / ٣١٩:٢ ، برقم : ٢٥٣١ كتاب البيوع ، باب في الحلال والحرام بيّن ، تحقيق / فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ــ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ .

(٣) ينظر : شرح النووي : ٢٩:١١ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الآلوسي أبو الفضل / ١٣٥:١ ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .

(٤) تفسير القرطبي : ٢٣٢:١ .

فـــي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله) [١] ، وكثير من الناس ذهب إلى أن تلك المضغة هي محل العلم [٢] . وقـــال الإمـــــام أبـــو الحســـين النوري [٣] رحمه الله تعالى : ((ان الله ﷻ سمّى القلب بأسماء أربعة : ســـمّاه صـــدراً ، وقلباً ، وفؤاداً ، ولبّاً ؛ فالصدر معدن الإسلام لقوله تعـــالى : M **! " # $ %** **& ') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6** L(الزمر:٢٢) ، والقلب معدن الإيمان لقولـــه تعـــالى : M **N O P Q R S T U V W X** **Y Z [\ ] ^** L(الحجرات: من الآية٧) ، والفـــؤاد معدن المعرفة لقولـــه تعالى :**M R S T U V** L(النجم:١١) ، واللب معـــــدن التوحيـــــد لقولـــــه تعالـــــــى :M **Z Y [\ ] ^ _ ` a b c** L(آل عمران:١٩٠) ، فاللب وعـــاء التوحيد ؛ والفؤاد وعـــاء المعرفة؛ والقلب وعـــاء الإيمان ؛ والصدر وعاء الإسلام ، فالتوحيد تنزيه الحق عـــن دونـــه، والمعرفـــة إثبـــات الحـــق بصفاتـــه العليا وأسمائه الحسنى ، والإيمان عقد القلب بنفي جميع مـــا تولهت القلـــــوب إليه مـــن المضار والمنافع سواه ﷻ ، والإسلام التسليم في الأمور كلها ســـرّاً وعلانيـــة وهذه الأسرار كائنة في أسرار الموحدين ولا تصح المعرفـــة إلاّ بالتوحيـــد ، ولا يصـــح الإيمان إلاّ بالمعرفة ، ولا يصح الإسلام إلاّ بالإيمان ؛ فمن لا توحيد له لا معرفـــة لـــه، ومن لا معرفة له لا إيمان له ، ومن لا إيمان له لا إسلام له ، ومن لا إسلام له لا ينفعـــه ما سواه من الأعمال والأفعال)) [٤] .

المبحث الثاني: أنواع القلوب وأحوالها وأسباب صلاحها:

المطلب الأول: أنواع القلوب المؤمنة وأحوالها: لقد جاءت الآيات القرآنية واصفةً قلـــوب المؤمنين بأوصاف عدّة كل وصف يعطي لك جانباً مـــن جوانب اللطف الإلهي والعنايـــة

---

(١) الحديث مر تخريجه هامش رقم : (٩) .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٣٥:١ .

(٣) أبو الحسين النوري : أحمد بن محمد بغدادي المولد والمنشأ ، خراساني الأصل من قرية بين هـــراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ، ولذلك يعرف بابن البغوي . قال أبو أحمد المغازلي : ما رأيت أحداً قط أعبد من النوري ، فقيل : ولا جنيد ؟ قال : ولا جنيد . توفي قبل الجنيد في ســـنة ٢٩٥هـــ . ينظر : صفة الصفوة : جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) / ٤٣٩:٢ برقم : ٣٠٤ ، تحقيق / محمود مانوري ــ دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩هـــ / ١٩٧٩م .

(٤) مقامات القلوب : لأبي الحسين النوري (ت ٢٩٥هـــ) : ٤ .

الربّانية لمن سلك طريق الإيمان والهداية فقد اقتصرت في هذا المطلب على ذكر خمس أوصاف للقلب وهي (القلب المنيب والسليم والذاكر والوجل والتقي) وكل وصف بينت القول فيه بدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف .

أولاً : القلب المنيب: قال تعالى : M à á â ã ä å æ L (قّ:٣٣) ، أي ولقي الله ﷻ يوم القيامة بقلب منيب سليم خاضع لديه[١] ، وعن قتادة بقلب منيب قال: مقبل على الله سبحانه [٢] ، وقيل القلب المنيب : القلب التائب من ذنوبه، الراجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه[٣]، وقال أبو بكر الوراق[٤] رحمه الله تعالى: ((علامة المنيب، أن يكون عارفاً لرحمته ومواليا له ، متواضعاً لجلاله ، تاركاً لهوى نفسه))[٥] .

وجاء في تفسير النسفي (وجاء بقلب منيب) راجع إلى الله ، وقيل : بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة[٦]. وحقيقة الإنابة؛ عكوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه[٧] .

---

(١) ينظر : تفسير إبن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء / ٢٢٩:٤ ــ دار الفكر ، بيروت، ١٤٠١هـ .

(٢) ينظر : تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / ٢٠١:٤ ــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت (د.ت) .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : محمد بن جرير بن بزيد بن خالد الطبري أبو جعفر / ١٧٣:٢٦ ــ دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

(٤) أبو بكر الوراق : أحمد بن محمد بن أبي موسى أبو بكر الوراق ، أحد تلامذة أحمد بن حنبل ، روى عن يسار بن أبي موسى وغيره ، توفي سنة ثمان وستين . ينظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / ٥٥:٢٠ ، تحقيق / د. عمر عبد السلام تدمري ــ دار الكتاب العربي ، لبنان / بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، والوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي / ١٣٦:٢ ، تحقيق / أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

(٥) تفسير القرطبي : ٢٢:١٧ .

(٦) ينظر : تفسير النسفي : أبي حفص نجم الدين عمر بن أحمد بن لقمان (ت ٥٣٧هـ) / ١٧٤:٤.

(٧) ينظر : الجزء الثاني من حديث يحيى بن معين الفوائد : يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بسطام بن عبد الرحمن / ١٣:١ ، تحقيق / خالد بن عبد الله السبيت ــ مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط/ ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

والإنابة إنابتان : إنابة الربوبية ، وهـــي إنابة المخلوقات كلها وهــذه الإنابة يشــترك فيهــا المؤمن والكافر والبر والفاجر ، قال تعــالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 L(الروم:٣٣) ، وهذا يعم كل مــن أصــابه ضر وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بل تجمع الشرك والكفر كما قال تعالى في حق هولاء : M) * + , - . / 0 1 2 L (الروم: من الآية٣٣) ، وقال تعالى : M Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã L(النحل:٥٤) ، وهذا حالهم بعد إنابتهم .

والإنابة الثانية : إنابة أوليائه ، وهـــي إنابة لألهيته إنابة عبودية ومحبــة وهـــي تتضمن أربعة أمور : محبته والخضوع له والإقبال عليه والإعراض عمــا ســواه ، فــلا يكـــــــــــــــون العبـــــــــــــــد منيبـــــــــــــــاً

إلاّ إذا اجتمعت فيه هذه الأمور الأربعة[١].

ثانياً : القلب السليم: قال تعالى : M : ; > = < ? @ A B C D E F L (الشعراء:٨٨ /٨٩) ، السليم ((السالم من الآفات))[٢] ، قيل سليم من الشرك والمعاصي، وقيل الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيئاً غيره[٣] ، وأقل مراتب القلب السليم ؛ أن يكون سليماً عن الكفر[٤] ، وسلامة القلب طريق الإنابة فإذا سلم القلب من الشرك ترك غير الله ورجع إلى الله فيكون منيباً والمنيب إلى الله بريء من الشرك فكان سليماً [٥] ، وقيل : القلب السليم، الخالص من الذنب وحب الدنيا ، ويقال سليم من بغض أصحاب النبي ﷺ [٦] [٦] .

ويبين إبن تيمية (رحمه الله تعالى) : سلامة القلب بأنها : فناء القلب عن إرادة ما سوى الله والتوكل عليه وعبادته والاستعانة به والإنابة إليه والتوجه إلى الله وحده لا شريك له وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال وسلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة والإرادات الفاسدة[٧] .

وقيل بقلب سليم : أي سليم مما سواه ليس فيه غير حبه وإتباع رضاه [٨] ، ومفتاح باب سلامة القلب هو (الرضا) ، فيجعل قلبه سليماً نقيّاً من الغش والدغل والغل ، وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضا ، فكلما كان العبد أشد رضا كان قلب أسلم

---

(١) ينظر : مدارج السالكلين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الفقي (ت ٧٥٠هـ) / ٤٣٤:١ ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ط /٢ .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي / ٣٩٦:٣٢ ، تحقيق / مجموعة من المحققين ـ دار الهداية (د.ت) .

(٣) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي / ٨٧:٣ ـ دار الكتاب العربي، لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ط / ٤ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت٦٠٤ هـ) / ٤٠:١٣ ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ط / ١ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٤:٢٨ .

(٦) ينظر: تنوير المقباس من تفسير إبن عباس: الفيروز أبادي/٣١٠:١ـ دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).

(٧) ينظر : مجموع الفتاوى : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / ٣٣٧:١٠ ، تحقيق / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة إبن تيمية ، ط / ٢ (د.ت) .

(٨) ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : محمد بن أي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / ١٠٩:١ ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

فالخبث والدغل والغش قرين السخط وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضا ، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضا [١] .

وقال الإمام الرازي (رحمه الله تعالى) : ((أصح الأقوال في القلب السليم هو : سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرديئة)) [٢].

ثالثاً : القلب الذاكر: قال تعالى : M **Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö** L (الأحزاب:٤١/٤٢) ، وقال جل ثناؤه : M **B C D E F** L (الجمعة: من الآية١٠) ، وقال ﷻ : M **5 6 7 8 9 : ; < = > ? @** L (الكهف: من الآية٢٨) .

الذكر لغةً : الصيت والثناء [٣] ، والذكر بالكسر : الحفظ للشيء ، والذكر الشيء يجري على اللسان [٤] .

وفي الاصطلاح : ((هو الخروج من الغفلة إلى التعظيم والمراقبة)) [٥] ، والذكر منزلة القوم الكبرى منها يتزودون ، وفيها يتاجرون ، وإليها دائماً يترددون . فهو منشور الولاية فمن دام عليه اتصل ومن امتنع منه عزل ، فهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً ازداد المذكور محبةً إلى لقائه واشتياقاً [٦] .

.

ولأهميته جاء ذكره في القرآن الكريم في مواطن كثيرة ، بل أمر سبحانه عباده أن يكثروا من ذكره في كل حين ولم يعذر أحداً بترك الذكر ، وكذلك السنة النبوية حذّرت من ترك الذكر والانشغال بغيره ، فمن الكتاب العزيز قوله **تعالى : M 6 7 8 9**

---

(١) ينظر : مدارج السالكين : ٢٠٧:٢ .

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) / ١٠٦:٤ ــ دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

(٣) ينظر : مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / ٩٣:١ ، تحقيق / محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، طبعة جديدة .

(٤) ينظر : تاج العروس : ٣٧٦:١١ ، ولسان العرب : ١٠٧:١ .

(٥) معجم مصطلحات الصوفية : د. عبد المنعم حنفي / ١٠٣ ــ دار المنيرة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ط / ١ .

(٦) ينظر : مدارج لسالكين : ابن قيم الجوزية / ١٤٢:٢ ، تحقيق / رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ط / ١ .

: ; < = > ? @ L(الزخـــرف:٣٦) ، وقـــال ﷻ : M ³ ´ µ ¶
¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã L (لأعراف:٢٠٥) ، وقال :
ﷻ
M Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð L (طـــه:١٢٤).

أما السنة ، فعن أبي موسى الأشعري [١] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (مثـــل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[٢]، وعن أبي هريرة [٣] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة ، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة ، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيـــه إلاّ كان عليه من الله ترة) [٤]، أي حسرة .

وقال عبد الله بن عباس [٥] ﷺ : ((لم يفرض الله تعالى على عبـــاده فريضـــةً إلاّ جعل لها حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل حداً ينتهـــي

---

(١) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس بن سليم ، من الأشعريين ومن أهل زبيد باليمن صحابي من الشجعان الفاتحين الولاة ، قدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم وهاجر إلى الحبشة واستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن ، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة (١٧هـــ) فافتتح أصبهان والأهـــواز ، توفي في الكوفة . ينظر : الأعلام : للزركلي / ٢٥٤:٤ ــ دار العلم للملايين ، بيـــروت ، ١٩٩٠م ط / ٩ .

(٢) صحيح البخاري : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبـــد الله (ت ٢٥٦هـــــ) / ٢٣٥٣:٥ ، برقم / ٦٠٤٤ ، فضل ذكر الله عز وجل ، تحقيق / د. مصطفى ديب البغا ــ دار ابـــن كثيـــر ، اليمامة / بيروت، ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م ، ط / ٣ .

(٣) أبو هريرة : هو عبد الرحمن بن صخر ، من قبيلة دوس وقيل في اسمه غير ذلك ، صحابي راوية للإسلام ، أكثر الصحابة رواية أسلم سنة (٧هـــ) ، وهاجر إلى المدينة ولـــزم صـــحبة النبـــي ﷺ فروى عنه أكثر من (خمسة الآف حديث) . ينظر : الأعلام : ٨٠:٤ .

(٤) سنن أبي داوود : الإمام سليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني (ت ٢٧٥هـــ) / ٢٦٤:٤ ، برقم برقم / ٤٨٥٦ ، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله تعالى ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار الفكر (د.ت) .

(٥) عبد الله بن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ﷺ ، الإمام البحر عـــالم العصـــر أبـــو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وابو الخلفاء ، مات رسول الله ﷺ ولعبد الله ثلاث عشرة سنة ، مات بالطائف سنة (٦٨هـــ) وصلّى عليه محمد بن الحنفية . ينظر : تذكرة الحفـــاظ أطـــراف أحاديث المجروحين لإبن حبان : لمحمد بن طاهر بن القيلاني (ت ٥٠٧هـــ) / ٤٠:١ ، تحقيق / حمدي عبد المجيد اسماعيل السلفي ــ دار الصميعي ، الرياض ، ١٤١٥هـــ ، ط / ١

إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلاّ مغلوباً على عقله وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال عز من قائل:M o n l k j i h g f e d L (النساء:١٠٣) ، وقال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب:٤١) ، أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر ، وفي الصحة والسقم والسر والعلانية ، وعلى كل حال))[١].

والذكر يكون باللسان والقلب، لكن ذكر القلب له أفضلية على ذكر اللسان بل أجره أكثر ومنزلته من أعلى منازل الذكر، لأنه يكون بعيداً عن الرياء والعجب وخالصاً لله تعالى، لأنه بين العبد وربه لا تعلم به الحفظة فيكتبونه والآيات تؤيد ذلك ، منها قوله تعالى:M Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ L (لأعراف:٢٠٥) ، والمراد بالآية هنا الذكر بالفكر أو القلب أو بهما معاً دونما قول مجهورٌ به[٢] . وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (الذكر الذي لايكتبه الحفظة يزيد على الذكر الذي يكتبه الحفظة سبعين ضعفاً) [٣] .

وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : كان رسول الله ﷺ يفضل الصلاة التي يستاك بها على الصلاة التي لا يستاك سبعين ضعفاً ، وكان رسول الله ﷺ يفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعين ضعفاً فيقول : (إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله لهم : انظروا هل بقي له من شيء ؟ فيقولون : ربنا ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلاّ وقد أحصيناه وكتبناه ، فيقول

---

(١) نور التحقيق : حامد صقر / ١٤٧ ــ دار التأليف ، مصر ١٣٦٩هـ ، وينظر : إيقاظ الهمم في شرح الحكم / العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني / ١٠٢ ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، بمصر، ١٩٦١م ، ط / ١ . وحقائق عن التصوف : الشيخ عبد القادر عيسى / ٩٦ ــ ٩٧ ، تحقيق / عبد الرحمن و د. عبد الغفار سليمان البندراني و سيد كسروي حسن ، مطبعة النواعير ، الرمادي ، ١٩٩٢م ، ط / ٥ .

(٢) ينظر : معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي : د. عبد الله مصطفى / ٢٩٥ ، عمان ، ١٩٩٣م ، ط/١.

(٣) شعب الإيمان : للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) / برقم ٥٥٥ ، تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ ط / ١ .

الله تبارك وتعالى له : إنّ لك عندي خبئاً لا تعلمه وأنا أجزيك به ، وهو الذكر الخفي) [1] .

ويقول الإمام النووي (رحمه الله تعالى) : ((الذكر يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء بل يذكر بهما جميعاً ويقصد به وجه الله تعالى)) [2] .

وقال بعضهم : ((ذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم ، وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقول: ما لهذا؟ فيقال: قد مسّه
لإنس)) [3] .

رابعاً : القلب الوجل : قال تعالى : M **7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G** L (الأنفال:٢)، وقال ﷻ :M **e f g h i** L **j k l m n o p q r s** L (الحج:٣٥) ، وقال ﷻ : M **! " # $ % & ') (*)** L (المؤمنون:٦٠) .

الوجل لغةً : الخوف ، وجل يوجل وجلا فهو وجل وأوجل [4] ، وقيل : ((الوجل ، الفزع)) [1]، وفي الاصطلاح : هو رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته [2] .

---

(١) مسند أبي يعلى : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧ه)/ ١٨٣:٨، برقم/٤٧٣٨، تحقيق/حسين سليم أسد ــ دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤ه / ١٩٨٤م، ط/١. وينظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/٢٩:١٤، برقم/٣٤١١، باب فضل الذكر الخفي، تحقيق/د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري. دار العاصمة/ دار الغيث، السعودية، ١٤١٩ه، ط/١، ومجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) / ٨١:١٠ ، باب ما جاء في الذكر الخفي ــ دار الريان للتراث / دار الكتاب ، القاهرة ــ بيروت ، ١٤٠٧هـ .

(٢) حقائق عن التصوف : ١٠٧ .

(٣) نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية : لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي / ٢٤٥ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر ، ١٩٦١م ، ط / ١ .

(٤) ينظر : كتاب العين : ١٨٢:٦ ، والقاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ) / ١٣٧٩:١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (د.ت) .

ووجل القلب هي صفة المؤمنين الكاملين الإيمان (فإنما) في قوله تعالى : M 7 8 L الأنفال: ٢، هنا للتأكيد والمبالغة والحصر و M = > L، أي خافت وإذا تليت عليهم آيات الله قوي تصديقهم ويقينهم [٣] ، ولهذا الوجل أثران : ــ

أحدهما : الصبر على المكاره ، وذلك هو المراد بقوله تعالى : M m l k n L، وعلى ما يكون من قبل الله تعلى لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب ، فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة .

الثاني : الاشتغال بالخدمة ، وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله ، أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة وهو المراد بقوله تعالى : M 9 : ; < L، وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله تعلى : M 2 3 4 L [٤] .

أما الكافر فإنه بخلاف المؤمن لا يؤثر فيه سماع كلام الله ولا يقصر عما كان عليه بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وضلاله[٥] كما قال تعالى : M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @ A B C D E F G L H I J K L M N O P Q R L (التوبة:١٢٤/١٢٥) .

خامساً : القلب التقي: إن التقوى من الأعمال القلبية التي بها ينال المرء الكرامة عند الله تعالى ، حيث قال ﷻ : M Q R S T U L(الحجرات: من الآية١٣) ، والتقوى إنما تكون بالقلب لقوله تعالى : M 8 9 : ; < L

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨هـ) / ٥٥٣:٧ ، تحقيق / عبد الحميد هنداوي ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م ط / ١ . وينظر : لسان العرب : ٧٢٢:١١ ، وتاج العروس : ٦٩:٣١ .

(٢) ينظر : مدارج السالكين : ٥١٣:١ .

(٣) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ٦٠:٢ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٣١:٢٣ .

(٥) ينظر : تفسير إبن كثير : ٣٣٠:٣ .

= < ? @ L (الحج:٣٢) ، ولقوله ﷺ: (التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات)[١] .

فالتقوى هي أصل كل عمل خير لذلك أمرنا بها سبحانه في كثير من آياته ، وكذلك وصّى بها سيدنا محمد ﷺ في أقواله لأنها حصن لكل مسلم من الأفعال والأعمال المذمومة التي لا يرتضيها سبحانه .

فمن الآيات التي تأمر بالتقوى نذكر قوله تعالى :M X W V U T S Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^ ] \ [ Z Y ] L (الزمر:٦١) ، وقال ﷺ : M Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L (البقرة: من الآية٢٢٣) ، وقال ﷻ : M Ù Ø × Ö Õ Ô Ó Ò Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L (البقرة:٢٨١) ، وقال جلت قدرته :M - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L (الحشر:١٨) .

أما السنة ، فعن أبي سعيد الخدري[٢] ﷺ قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله أوصني ، فقال ﷺ: (عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله فإنه نور لك)[٣] ، وقال ﷺ : (إتقِّ الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)[٤] .

---

(١) صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين (ت ٢٦١هـ) / ١٩٨٦:٤ ، برقم / ٢٥٦٤ ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه ، تحقيق / محمد فؤاد أبو عبد الباقي ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .

(٢) أبو سعيد الخدري : هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، مدني من صغار الصحابة وخيارهم كان من المكثرين للرواية عن النبي ﷺ فقيهاً مجتهداً مفتياً ، ممن بايعوا رسول الله ﷺ لا تأخذهم في الله لومة لائم شهد معه الخندق وما بعدها . ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة : الإمام إبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)/٣٤:٢، تحقيق د. طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٦ه/١٩٧٦م، ط/ ١ . والبداية والنهاية : لإبن كثير / ٤:٩ ــ دار الرياض ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) / ٩٩:٦ ، الناشر : محمد أمين دمج ، بيروت (د.ت) .

(٤) سنن الترمذي : للإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) / ٣٥٥:٤ ، برقم / ١٩٨٧م ، باب : ما جاء في معاشرة الناس ، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .

والتقوى في اللغة : بمعنى الإتقاء ، وهو إتخاذ الوقاية أي الحفظ[١] ، أما في الإصطلاح : ((هي الإحتراز بطاعة الله عن عقوبته ، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك))[٢] ، فكلما كان القلب متمسكاً بطاعة الله ، تقيّاً حافظاً حدود الله ظهر ذلك على جميع جوارحه ، لأنه ما كان في القلب تصدقه الجوارح فإذا كان القلب تقيّاً كذلك أصبحت الجوارح كلها فيها تقوى وفي ذلك يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى) : ((فالعبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه ، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح))[٣] .

المطلب الثاني: أنواع القلوب الكافرة وأحوالها: كما جاء وصف القلوب المؤمنة في القرآن الكريم ، كذلك وصف سبحانه القلوب الكافرة التي سلكت طريق الضلال والفساد فتارة وصف الله قلوبهم بالمرض وأخرى بالقاسية وبالمطبوع عليها وأوصاف كثيرة صرّحت بها آيات القرآن الكريم فنقتصر كذلك في هذا المطلب على ذكر بعض هذه الأوصاف والتي منها :ـ

أولاً : القلب المريض: قال تعالى : M **S T U V W X Z [\ ] ^ _** L (البقرة:١٠)، وقال ﷻ : M **k l m n o p q r s** L (لأنفال:٤٩) ، وقال ﷻ : M **{ | } ~ t u v w x y z** L (محمد: من الآية٢٠) .

المرض في اللغة : حالة خارجة عن الطبع (ضارة) بالفعل ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض ، وقال ابن فارس : المرض كل ما خرج به الإنسان

---

(١) ينظر : القاموس المحيط : ١٧٣١:١ ، ومختار الصحاح : ٣٠٥:١ ، والمصباح المنير : ٧٦:١ ، والتعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني / ٩٠:١ ، تحقيق / إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ط / ١ .

(٢) التعريفات : ٩٠:١ .

(٣) الفوائد : لإبن قيم الجوزية / ١٨٦ ـ دار النفائس، بيروت، ١٩٨٢م ط / ٣ .

عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر [١] ، وقيل : المرض ، الشك ومنه قوله تعالى : L U T SM (البقرة:١٠) ، أي شك ونفاق وضعف يقين [٢] .

الأصل في القلوب السلامة ، والأصل في الجسد أن يكون صحيحاً والمرض طارئ دخل القلب أو حلَّ في الجسد ، فمن أمراض القلب :

١ - **النفاق :** لقد تحدث القرآن الكريم عن قلوب المنافقين بوصف واحد وهو المرض حيث ذكر في أكثر من موضع قوله تعالى : L U T SM ، فما حقيقة هذا المرض الذي قد أصيب به المنافقون ؟ وهل من سبب ؟

لاشك بأن المراد ليس المرض الذي يصيب الأجساد، حيث قال المفسرون : ((المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم ، وذلك إما أن يكون شكاً ونفاقاً وإما جحداً وتكذيباً قلوبهم مرضا لخلوها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد)) [٣] ، فهو ((مرض في الدين وليس في الأجساد)) [٤] .

لقد أصاب المنافقين مرض النفاق والشك في قلوبهم [٥] حتى أصبح المرض وصفاً لقلوبهم القاسية ، وانعكس ذلك على سلوكهم وتصرفاتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ولقد كان لأبن القيم (رحمه الله تعالى) كلاماً جميلاً ، حيث قال عن الأمراض : ((نوع لا يتألم به صاحبه في الحال كمرض الجهل ومرض الشبهات والشكوك ، وهذا النوع هو أعظم النوعين وأخطر المرضين وأصعبهما وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم فهم أطباء هذا المرض .

النوع الثاني : مرض مؤلم له في الحال كالهم والغم والغيظ ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية كإزالة أسبابه أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب)) [٦] .

من خلال هذا نفهم بأن النفاق مرض صعب علاجه ، ولكن ليس مستحيلاً وأمراض أخرى مثل الغضب والهم والغيظ والحسد والحقد ممكن علاجه بإزالة أسبابه أو بالعلاج

---

(١) ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي / ٥٦٨:٢ ، المكتبة العلمية ، بيروت .

(٢) ينظر : نفس المصدر/ ٥٦٨:٢.

(٣) ينظر : لسان العرب : ٢٣٢:٧ ، والمحكم والمحيط الأعظم : ٢٠٤:٨ .

(٤) تفسير القرطبي : ٢٤٤:١ ، وينظر : فتح القدير : ٦٦:١ .

(٥) فتح القدير : ٦٦:١ .

(٦) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣٢:١٤ ، وفتح القدير : ٦٦:١ .

بأضداده ، لأن مرض المنافقين مرض شك وريب ومرض العصاة مرض غي وشهوة ، والمرض يدور على أربعة أشياء (فساد ، ضعف ، نقصان ، ظلمة) [1] ، والمنافقون يزداد مرض النفاق في قلوبهم حيث قال سبحانه : ﴿ **فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً** ﴾ (البقرة:١٠) ، وسبب ذلك سلوكهم الطريق الذي أوصلهم إلى هذه النهاية ، قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ (التوبة:١٢٥) ، حيث جاء في معنى الآية : ((بسكونهم إلى الدنيا وحبهم لها ، وغفلتهم عن الآخرة وإعراضهم عنها ، لذا وكّلهم إلى أنفسهم وجمع عليهم هموم الدنيا فلم يتفرغوا من ذلك)) [2] .

وهذا يعني أن القلوب عندما تعرض عن الآخرة وتقبل على الدنيا وشهواتها وملذاتها فإنها سوف تصاب بعلل تتراكم حتى يصاب صاحبها بمرض يصعب علاجه ، لذا نقل القرطبي عن بعضهم القول: ((علل القلوب من إتباع الهوى كما علل الجوارح من مرض البدن)) [3]

ومما ينبت النفاق في القلب (الغناء) حيث أنه شاغل للقلب ويترك أثراً سلبياً على القلب ثم بعد ذلك على صاحبه حيث قيل عنه : ((إن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ونباته فيه كنبات الزرع بالماء ، وذلك لأنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب لأن القرآن ينهى عن إتباع الهوى ويأمر بالعفة وينهي عن إتباع خطوات الشيطان ، والغناء يأمر بضد ذلك كله))[4].

وهذا هو فهم الصحابة لهذا الداء الخطير (النفاق) وأسباب وجوده وهم أعلم من غيرهم بأمراض القلوب وعلاجها حيث قيل بحقهم : ((ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها وأنهم هم أطباء القلوب عندما جعلوا الغناء ينبت النفاق في القلب)) [5] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : ١٨:١ .

(٢) ينظر : التفسير القيّم : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية / ١٢٥ ، جمع الشيخ محمد أويس الندوي ، تقديم : محمد حامد الفقي ــ دار إبن الهيثم ، مصر ، ٢٠٠٥م ط/١

(٣) تفسير القرطبي : ٢٤٤:١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٤٤:١ .

(٥) تحريم ألآت الطرب : محمد ناصر الألباني / ١٥١:١ ، مكتبة الدليل ، ١٤١٦هـ ط / ١ .

٢- **الرياء :** يعد الرياء من الأمراض التي يصاب بها القلب ، بل هو من الأمراض الخطيرة لأنه يسمى بالشرك فقد حذر منه ﷺ في آيات كثيرة ، وكذلك نبينا محمد ﷺ أمرنا بالإبتعاد عنه والإخلاص في عبادتنا لله قال تعالى : M**Ö × Ø Ù Ú Û**

L Ý Þ ß à ¡â ã ä å æ ç è é ê ë ì í î ï

(الكهف:١١٠) ، قال جماعة من أهل العلم : ((أي لا يرائي الناس في عمله ، لأن العمل بعبادة الله لأجل رياء الناس من نوع الشرك كما هو معروف عند العلماء أن الرياء من أنواع الشرك))[١]، بل وصف سبحانه أهل الرياء بالمنافقين فقال جل ثناؤه :M**H I J K L M N O P Q R S T U**

L Z Y X W V (النساء:١٤٢) ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : رسول الله ﷺ : (قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته بشركه) [٢] ، وقال ﷺ: (يصير الرياء نفاقاً ، والنفاق أخفى في أمتي من دبيب الذر)[٣] ، وقال ﷺ : (يُدعى المرائي يوم القيامة بأربعة أسماء على رؤوس الخلائق : يا غادر يا فاجر يا خاسر، بطل عملك وخسر أجرك فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندي يا مرائي)[٤] .

والرياء لغةً : أريته الشيء فرآه ، وأصله أرأيته وارتآه وهو افتعل من الرأي والتدبير وفلان مراء وقوم مراءون والاسم الرياء ، يقال فعل ذلك رياءً وسمعةً وتراءى بعضهم بعضاً وفلان يتراءى أي ينظر إلى وجهه في المرآة [٥] .

واصطلاحاً : مشتق من الرؤية ، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير وإظهار العمل لهم ليروه ويظنوا به خيراً ليُحمد [١] .

---

(١) مدارج السالكين : ٥٤:١ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي / ٣٥٦:٣، تحقيق / مكتب البحوث والدراسات ــ دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

(٣) صحيح مسلم : ٢٢٨٩:٤ ، برقم / ٢٩٨٥ ، باب : من أشرك في عمله غير الله .

(٤) الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب : الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري / ٣٧٥:١، برقم / ٩٨٥ ، تحقيق / محمد إدريس ــ عاشور بن يوسف ــ دار الحكمة / مكتبة الإستقامة ، بيروت ، ١٤١٥هـ ط / ١ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٧٥:١ ، برقم / ٩٨٦ .

أما علامات المرائي ، فقد ذكر الآلوسي في تفسيره قول سليمان الداراني [٢] في المرائي أن له ثلاث علامات : ((له الكسل عند العبادة في الوحدة ، والنشاط في الكثرة، وحب الثناء على العمل)) [٣] .

وحكم الرياء في العمل ، هو رد العمل على صاحبه وتركه له ، فقيل : أنه يكون لا له ولا عليه منه ، فقيل : لا يخلو من ذم . كما حذر الله تعالى منه بقوله : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ (لأنفال:٤٧) ، وقيل أنه محبط للأعمال لمسمى الشرك ، لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ (النساء:٤٨) ، وأجيب بأنه يحبط العمل الذي هو فيه فقط فإن راءى في الصلاة أحبطها ولا يتعدى إلى الصوم ، وإن راءى في صلاة نافلة لا يتعدى إحباطها إلى صلاة فريضة [٤] .

٣- **السخط وعدم الرضا :** وهو مرض آخر يأتي به الهم والحزن ، وذلك لعدم وجود الإيمان الذي يورث الرضا بالقضاء وعدم الإهتمام بما ينزل من الأقدار، جاء في مدارج السالكين : ((أن السخط هو باب الهم والغم والحزن وشتات القلب ، مما يجعل القلب مضطرباً وغير مستقر ، ويبعده عن السكينة ، والرضا يخلصه من ذلك كله)) [٥] .

والسخط : نقيض الرضا ، وتسخطه لم يرض به ، وسخط الشيء سخطاً ، كرهه [٦].

---

(١) ينظر : مختار الصحاح : ٩٦:١ .

(٢) ينظر : إحياء علوم الدين : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد / ٢٩٧:٣ ــ دار المعرفة ، بيروت . والمصباح المنير : ٢٤٧:١ ، وأضواء البيان : ١١٨:٩ .

(٣) أبو سليمان الداراني : الزاهد ، عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي ، ثقة لم يرو مسنداً إلاّ واحداً واحداً ، وله حكايات في الزهد من الطبقة التاسعة ، مات سنة اثنتي عشرة . ينظر : تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني / ٣٤٢:١ ، تحقيق / محمد عوامة ــ دار الرشيد ، سوريا ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ط / ١ .

(٤) روح المعاني : ٣٩٩:١ .

(٥) ينظر : أضواء البيان : ١١٩:٩ .

(٦) مدارج السالكين : ٢٠٨:٢ .

ومن آثار السخط على العبد ، أنه يوجب تلون العبد وعدم ثباته مع الله فإنه لا يرضى إلاّ بما يلائم طبعه ونفسه ، والمقادير تجري دائماً بما يلائمه وكلما جرى عليه منها ما لا يلائمه أسخطه ، فلا تثبت له قدم على العبودية فإذا رضا عن ربه في جميع الحالات استقرت قدمه في مقام العبودية ، فلا يزيل التلون عن العبد شيء مثل الرضا كما أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله وقضائه وقدره وحكمته وعلمه . وكذلك يثمر كفر النعم ، فإذا رضا العبد عن ربه في جميع الحالات أوجب له ذلك شكره فيكون من الراضين الشاكرين ، وإذا فاته من الرضا كان من الساخطين وسلك سبيل الكافرين ، وكذلك الشيطان يظفر بالإنسان غالباً عند السخط والشهوة فهناك يصطاده ولا سيما إذا استحكم سخطه فإنه يقول ما لا يرضى الرب ويفعل ما لا يرضيه وينوي ما لا يرضيه [1] .

٤ - الحسد : إن الحسد مرض من أمراض النفس والقلب ، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلاّ القليل من الناس ولهذا يقال : ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه ، وقد قيل للحسن البصري [2] : أيحسد المؤمن ؟ فقال : ما أنساك أخوة يوسف [3] .

وبيّن ﷺ بأن الحسد يذهب الحسنات ، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (إياكم

---

(١) ينظر : كتاب العين : ١٩٢:٤ ، والقاموس المحيط : ٨٦٤:١ ، والمحكم والمحيط الأعظم : ٧٠:٥ ، ولسان العرب : ٣١٣:٧ ، ومختار الصحاح : ١٢٢:١ .

(٢) ينظر : مدارج السالكين : ٢٠٧:٢ــ٢٠٩ .

(٣) الحسن البصري : هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد الإمام العالم الزاهد العارف بالله ، علم من الأعلام كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع بين العلم والزهد والفقه والورع والعبادة ، توفي سنة (١١٠هـ) . ينظر : وفيات الأعيان : ابن خلكان /٢٥٥:١ ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبونعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) / ١٣٠:٢ ــ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ط / ٢ .

والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال : العشب) [1] ، وقال ﷺ : (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) [2] .

والحسد في اللغة : معروف والفعل حسد يحسد حسداً ، ويقال : فلان يحسد على كذا فهو محسود ، وحسده تمنى أن تتحوّل إليه نعمته وفضيلته أو يسلبها ، وهو حاسد من حسد وحساد وحسده وحسود من حسد ، وحسدني الله إن كنت أحسدك ، أي عاقبني على الحسد وتحاسدوا حسد بعضهم بعضاً [3] .

وفي الإصطلاح : هو أن تتمنى زوال نعمة المحسود وتحولها إليك ، ويقال : ظلم ذي النعمة بتمني زوالها عنه صيرورتها إلى الحاسد [4] .

وقال بعضهم في حده : أنه أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأغنياء ، فلا يجوز أن يكون الفاضل يجري على ما هو الجميل وقد قال طائفة من الناس : أنه تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها بخلاف الغبطة فإنه مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط ، والتحقيق أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود وهو نوعان : -

أحدهما : كراهة للنعمة عليه مطلقاً ، فهذا هو الحسد المذموم وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه فيكون ذلك مرضاً في قلبه ويلتذ بزوال النعمة عنه ، وإن لم يحصل له نفع بزوالها لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه .

النوع الثاني : أن يكره فضل ذلك الشخص عليه ، فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه فهذا حسد وهذا الذي سموه الغبطة ، وقد سماه النبي ﷺ حسداً [5] في قوله (لا حسد

---

(١) ينظر : أمراض القلوب وشفاؤها : أحمد بن تيمية الحراني / ٢١:١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ ط / ٢ .

(٢) سنن أبي داود : ٢٧٦:٤ ، برقم / ٤٩٠٣ ، باب : في الحسد .

(٣) سنن الترمذي : ٣٢٩:٤ ، برقم / ١٩٣٥ ، باب : ما جاء في الحسد ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) ينظر : كتاب العين : ١٣٠:٣ ، والقاموس المحيط : ٣٥٣:١ ، ولسان العرب : ١٤٨:٣ .

(٥) ينظر : مختار الصحاح : ٥٧:١ ، والتوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف / ٢٧٨:١ ، تحقيق / د. محمد رضوان الداية ــ دار الفكر ، بيروت / دمشق ، ١٤١٠هـ ط / ١ ، والتعريفات : ١١٧:١ .

إلاّ في اثنتين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أعطاه الله مالاً فتصدّق به آناء الليل وآناء النهار) [١] .

٥ - الحقد : الحقد لغةً : من حقد يحقد حقداً ، وهو إمساك العداوة في القلب والتربص بفرصتها ، والحقد الضغن والجمع أحقاد وحقود وهو سوء الظن في القلب على الخلق [٢] .

وفي الإصطلاح : هو إضمار الشر وتوقعه كل وقت فيمن وجدت عليه فلا يزايل القلب أثره وهو بطيء الزوال ويجيء مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس ودخانها عليه [٣] .

والحقد ثمرة الغضب ، وهو يثمر أموراً منكرة : ــ

١ - : الحسد : وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتُسر بمصيبة إن نزلت به ، وهذا من فعل المنافقين .

٢ - : أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن ، فيشمت بما أصابه من البلاء .

٣ - : أن هجره وتصادمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك .

٤ - : وهو دونه ، أن تعرض عنه استصغاراً له .

٥ - : أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وعورة .

٦ - : أن تحاكيه استهزاء وسخريةً منه .

٧ - : إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه .

٨ - : أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة .

وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد لو احترز عن هذه الآفات الثماني ، أن يترك البشاشة أو الرفق و العناية والقيام بحاجاته ، أو المعاونة على المنفعة له ، وكله مما ينقص الدرجة في الدين ويفوت الثواب الجزيل [١] .

---

(١) ينظر : مجموع الفتاوى : ١١١:١٠ .

(٢) مسند أبي عوانة : الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني / ٤٦٨:٢ ، برقم / ٣٨٥٤ ، باب : حظر الحسد إلاّ في إثنتين ــ دار المعرفة ، بيروت.

(٣) ينظر : كتاب العين : ٤٠:٣ ، ومختار الصحاح : ٦١:١ ، وتاج العروس : ٣٥:٨ ، وكتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي / ٤٠٨:١ ، تحقيق / عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

ثانياً: القلب القاسي : قال تعالى : M **L q p o n m l k j i h g** (البقرة: من الآية٧٤) ، وقال جل ذكره : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾ (الزمر: من الآية٢٢) .

فقسوة القلب تأتي من أربعة أشياء ، إذا جاوزت قدر الحاجة (الأكل والشرب والنوم والكلام وحب الدنيا) فكما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب ، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ ومن أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته ، فالقلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها [٢] .

إن كثرة الأكل والشرب بحيث تملأ البطن فوق الحاجة ، فإن ذلك ينكس البصيرة ويشوش الفكرة لما يستولي على معادن إدراكه من الأبخرة الكثيرة المتصاعدة من معدته إلى دماغه ، فلا يمكنه نظر صحيح ولا يتفق له رأي صالح ويغلب عليه النعاس ولكسل فيمنعه عن وظائف العبادات وتقوى قوى بدنه وتكثر المواد والفضول ، فينبعث غضبه وشهوته وتشتد مشقته لدفع ما زاد على ما يحتاجه بدنه فيوقعه ذلك في المحارم، قال بعض الأعلام: صوم العوام عن المفطرات ، وصوم الخواص عن الغفلات ، وصوم العوام جنة عن الإحراق ، وصوم الخواص جنة لقلوبهم عن الحجب والاحتراق .

فالبطن شر وعاء يملأ لقوله ﷺ : (ما ملأ ابن آدم وعاءً شر من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يُقْمِنَ صُلْبه فإن لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس)[٣] . لذلك الصوم جنة أي وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة وحفظ الجوارح ، وفي الآخرة من النار لأنه يقمع الهوى ويردع الشهوات التي هي من أسلحة الشيطان،

---

(١) ينظر : الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي : ٢٥١:١ ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

(٢) ينظر : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين : ٣٩١:١ ، بدون بطاقة .

(٣) ينظر : الفوائد : ١٠٢:١ .

فـــإن الشبع مجلبة للآثام منقصة للإيمان[١]، وقيـــل : ((إذا امتلأت المعدة نامت الفكـــرة وخرست الحكمـــة وقعدت الأعضاء عن العبادة ، البطنة تذهب الفطنة)) [٢] .

أما كثرة النوم فإنها تميت القلب وتثقل البدن وتضيع الوقت وتـــورث كثـــرة الغفلـــة والكسل ، وأنفع النوم ما كان عند شدة الحاجة إليه [٣] ، لأن كثرته بدون الحاجة إليه يؤدي إلـــى مـــا ذكرناه ، إضافة إلـــى بله العقل ونقص الفطنة وســـهو القلـــب [٤] ، وفـــوات التهجد وبلادة الطبع وقسوة القلب [٥] .

قال الفضيل بن عياض [٦] (رحمه الله تعالى) : ((خصلتان تقسيان القلب ، كثرة النـــوم وكثرة الأكل)) [٧] .

أما كثرة الكلام بغير ذكر الله ، فقد حذر منها نبينا محمد ﷺ حيث قال : (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس مـــن الله القلب القاسي) [٨] .

---

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة النـــاس : إســـماعيل بـــن محمـــد العجلوني الجراحي / ٢٦٠:٢ ، برقم / ٢٢٧٠ ، تحقيق / أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـــ ط / ٤ .

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المنـــاوي / ٢٤٢:٤ ، المكتبـــة التجاريـــة الكبرى، مصر ، ١٣٥٦هـــ ط / ١ .

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : أبو القاسم الحســـين بـــن محمـــد بـــن المفضـــل الأصفهاني / ٧٢٨:١ ، تحقيق / عمر الطباع ــ دار القلم ، بيروت ، ١٤٢٠هـــ / ١٩٩٩م .

(٤) ينظر : مدارج السالكين : ٤٥٩:١ .

(٥) ينظر : فيض القدير :٥٠٥:٤ .

(٦) ينظر : مرقاة المفاتيح : ٣٨٨:٩ ، وإحياء علوم الدين : ٨٦:٣ .

(٧) الفضيل بن عياض : هو أبو علي الفضيل بن مسعود بن بشر ، الإمام القدوة شيخ الإسلام خراساني خراساني النشأة من ناحية مرو من قرية تعرف بقندين ، وقال من صحبه : (ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل) كان إذا ذكر الله عنده أو سمع القرآن ظهر بـــه الخـــوف والحـــزن وفاضت عيناه بكاءً حتى يرحمه من بحضرته . ينظر : صفة الصفوة : ٢٣٧:٢ ، وحلية الأولياء : ٨٤:٨ .

(٨) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل : أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي : ٤٢٣:٤٨ ، تحقيق / محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمـــري ــ دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، وينظر : شعب الإيمان : ٤٢:٥ .

أما حب الدنيا وطلبها ، وعدم الزهد فيها فإن ذلك يعذب القلب بتوقع ما لم يقسم منها ويحزن لذلك على كل فائت منها ، لأنه لم يعرف حقيقة الزهد والتوكل حتى تكون ثقته بقسمة الله فإن ما في يده قد يكون رزق غيره ولا يفرح به ولا يطمئن ولا إلى ما يرجوه من يد غيره فيستريح قلبه من همها وغم ما يفوت منها ، فإن جهل ذلك استخدمته الدنيا ويصير من عبيد الهوى بطالاً من خدمة المولى فيقسوا قلبه ببطالته ، والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب[١] .

ونتائج قسوة القلب هي : ــ

١- البعد عن الله تعالى ، لقوله ﷺ : (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي) [٢] .

٢- خروج الرحمة واللين عنه ، قال تعالى : M **n m l k j i h g** L **q p o** (البقرة: من الآية٧٤) ، أي يبست وجفت ، وجفاف القلب خروج الرحمة واللين عنه ، وقيل غلظت [٣] .

٣- لا ينطبع ولا يكتب فيه الإيمان ، ولا يرتسم فيه العلم ، لأن ذلك يستدعي محلاً ليناً قابلاً [٤] .

٤- عدم قبول الحق وإن كثرت دلائله ، فلا يقبل الآيات إلاّ من لآن قلبه [٥] .

ثالثاً: القلب المطبوع : قال تعالى : M **+ , - . / 0 1 2 3 4** **5 6 7** L (النساء: من الآية ١٥٥) ، وقال ﷺ : M **§ ¨ © ª « ¬**

---

(١) سنن الترمذي : ٦٠٧:٤ ، برقم / ٢٤١١ ، باب ما جاء في حفظ اللسان . ومشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي : ٧٠٣:٢ ، برقم / ٢٢٧٦ ، تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م ط / ٣ .

(٢) ينظر : محاظرات الأدباء : ٧٢٨:١ .

(٣) الحديث مر تخريجه هامش رقم : (١٠٤) .

(٤) ينظر : تفسير البغوي : البغوي : ٨٥:١ ، تحقيق / خالد عبد الرحمن العك ــ دار المعرفة ، بيروت . وكتاب الزهد الكبير : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي : ١٧٦:١ ، تحقيق / عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ط / ٣ .

(٥) ينظر : كتب ورسائل وفتاوى إبن تيمية في التفسير : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس العباس : ٢٧١:١٣ ، تحقيق / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة إبن تيمية ، ط / ٢ (د.ت) .

Ã Â Á À ¿ ¾½¼ » º ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ®

È Ç Æ Å Ä L(محمد:١٦/١٧).

الطبع : بالسكون ، الختم ــ طبع الله على قلبه ــ أي ختم عليه وغشاه ومنعه ألطافه ، قال مجاهد : الرين أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال ، والإقفال أشد ذلك كله . وطبع الله على قلوب الكافرين ، أي ختم فلا يعي وغطي ولا يوفق لخير ، قال أبو إسحاق النحوي : معنى طبع في اللغة وختم واحد وهو التغطية على الشيء [١] .

وقال ابن القيم (رحمه الله تعالى) : ((الختم والطبع يشتركان فيما ذكر (التغطية) ويفترقان في معنى آخر ، وهو أن الطبع ختم يصير سجيّةً وطبيعةً ، فهو تأثير لازم لا يفارق[٢] .

وأسباب الطبع على القلب هي : ــ

١. إتباع الهوى .

٢. الكبر والتجبر .

٣.الكفر .

أما إتباع الهوى ، فلقوله تعالى : M § ¨ © ª » ¬ ® ¯ ° ± ²

Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾½¼ » º ¸ ¶ µ ´ ³

È L (محمد:١٦/١٧) ، أي ختم عليها وسد أبواب الخير التي تصل إليها ، بسبب إتباعهم أهواءهم التي لا يهوون فيها إلاّ الباطل [٣] ، فبإتباع الهوى يطبع على قلب العبد [٤] ، كما أنهم لا يفقهون الحق بسبب إتباع الهوى فالله سبحانه ذكر الذين أوتوا العلم ، وهم الذين يعلمون أن ما أنزل إليه من ربه الحق ويفقهون ما جاء به ، وذكر المطبوع

---

(١) ينظر : فيض القدير : ٩٣:١ .

(٢) ينظر : لسان العرب : ٢٣٢:٨. والنهاية في غريب الحديث والأثر : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : ١١٢:٣ ، تحقيق / طاهر أحمد الزاوي ــ محمود محمد الطنامي ، المكتبة العلمية ، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م . وتهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : ١١٠:٢ ، تحقيق / محمد عوض مرعب ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م ط/١

(٣) التفسير القيّم : ١٠٢٤ .

(٤) ينظر : تفسير السعدي المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) : عبد الرحمن بن ناصر السعدي : ٧٨٧:١ ، تحقيق / إبن عثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

على قلوبهم فلا يفقهون إلاّ قليلا ، الذين إتبعوا أهواءهم يسألونهم ماذا قال الرسول آنفاً وهذه حال من لم يفقه الكتاب والسنة بل يستشكل ذلك فلا يفقهه، أو قرأه متعارضاً متناقضاً وهي صفة المنافقين ، ثم ذكر صفة المؤمنين فقال تعالى: M Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ L، زيادة الهدى ، وهو ضد الطبع على قلوب أولئك ، وآتاهم تقواهم، وهو ضد إتباع الأهواء فصاحب التقوى ضد صاحب الأهواء[1] ، كما قال تعالى: M É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ L (النازعات:٤٠/٤١) .

قيل لبعض الحكماء : أي الأصحاب أبر؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأي شيء آخر؟ قال: النفس والهوى يجب أن يكون تابعاً لما جاء به النبي ﷺ حتى يكون مؤمناً حقاً فالمؤمن هواه تابع له ، والمنافق الفاجر هواه متبوع له ، وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله أنه أظلم الظالمين ، فقال ﷻ : M ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À L (القصص:٥٠) وأنت تجد تحت هذا الخطاب أن الله لا يهدي من إتبع هواه ، وجعل سبحانه التبع قسمين لا ثالث لهما : ما جاء به الرسول ﷺ ، وإما الهوى ، فمن إتبع أحدهما لم يمكنه إتباع الآخر والشيطان يطيف بالعبد من أين يدخل عليه فلا يجد عليه مدخلاً ولا إليه طريقاً إلاّ من هواه فلذلك كان الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ، وإنما تطاق مخالفة الهوى بالرغبة في الله وثوابه والخشية من حجابه وعذابه ، ووجد حلاوة الشفاء في مخالفة الهوى فإن متابعته الداء الأكبر، ومخالفته الشفاء الأعظم ، قيل لأبي القاسم الجنيد [2] : متى تنال النفوس مناها؟ فقال: إذا صار داؤها دواها ، فقيل له : ومتى يصير داؤها دواها ؟ فقال إذا خالفت هواها، ومعنى قوله : يصير داؤها دواها ، أن داءها هو الهوى فإذا خالفته تداوت منه بمخالفته ، وقيل : إنما سمي هوى ، لأنه يهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين [3] .

---

(١) ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : ٤٠٢:١ .

(٢) ينظر : قاعدة في المحبة : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : ٢٢:١ ، تحقيق / د. محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

(٣) أبو القاسم الجنيد : الجنيد بن محمد البغدادي ، أصله من نهاوند ، مولده ونشأته ووفاته ببغداد ، كان فقيهاً صحب السري السقطي والحارث المحاسبي ، ويعتبر من كبار الصوفية ، إمام الدنيا في زمانه ، توفي سنة (٢٩٧هـ) . ينظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ٢٥٥:١ ، وصفة الصفوة : ٢٣٦:٢.

أما الكبر والتجبر ، فأخبر سبحانه أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فقال تعالى : M S T U V W X Y Z L(غافر: من الآية٣٥) ، والكبر بطر الحق وهو أعظم من الشرك ، وقوله تعالى :M r s t u v L (النساء: من الآية٤٨) ، فيه تنبيه على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك فكما أن من تواضع لله رفعه ، فكذلك من تكبر عن الإنقياد للحق أذله الله ووضعه وصغره وحقره[١] قال القرطبي (رحمه الله تعالى) : يختم على كل قلب متكبر جبار ، كما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق ، أي يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلباً قلباً ، (متكبر) نعت للقلب ، لأن القلب هو الذي يتكبر وسائر الأعضاء تبع له [٢] .

أما السبب الآخر لطبع القلب فهو الكفر ، فقد جاءت الآية تبين ذلك قال تعالى :

M + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L (النساء: من الآية١٥٥) ، الكفر والابتعاد عن الحق سبحانه سبب الطبع وهذا ما قاله المفسرون: ((أشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر ، لأنه داخل في غلافه وغشائه فلا يصل إليه نور العلم والإيمان))[٣]، كما ذكر ﷺ : بأن القلب الأغلف هو قلب الكافر حينما ذكر القلوب بقوله : (القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفّح ، فأما القلب الأجرد : فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف : فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس : فقلب المنافق عَرَفَ ثم أنكر ، وأما القلب المصفّح : فقلب فيه إيمان ونفاق فَمَثَل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيّب ، ومثَل النفاق فيه كمثَل القُرحة يَمُدّها القيحُ والدّمُ، فأي المَدّتين غلبت على الأخرى غلبت عليه)[٤].

المطلب الثالث: أسباب صلاح القلوب: المقصد الأول: التوبة:

إن طريق صلاح القلوب وأحوالها مع الله يبدأ بالمبادرة بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى، بترك ما

---

(١) ينظر : روضة المحبين :٤٠٤:١ .

(٢) ينظر : مدارج السالكين : ٣٣٢:٢ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ٢٧٤:١٥ .

(٤) تفسير القرطبي : ٢٣٢:١ .

سلف من الأعمال التي لا ترضي الله وعدم الرجوع إليها ، والتزام الأعمال التي ترضيه وتقرّب إليه سبحانه ، لأن الذنوب هي سبب من أسباب هلاك القلوب وفسادها وهي سبب الران الذي يصيب القلوب، قال تعالى: M **QP O NMK I** L **R** (المطففين:١٤)، فذهاب هذا الران يكون بالتوبة والإستغفار لجلاء القلب ، قال ﷺ : (إن للقلوب صدأ ، قالوا: فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : جلاؤها الإستغفار) [١] .

والتوبة في اللغة : الرجوع من الذنب ، وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبةً ومتاباً أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة ، وقيل : الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب، وقيل: الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى المحمودة، أي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه [٢] .

وبالتوبة أمر ﷻ عباده بقوله :M **Ô Ó Ò Ñ Ð Ï Î Í** L (النور: من الآية٣١) ، وقال ﷻ : M **! " # $ % & ' (** L (التحريم: من الآية٨) ، قال إبن عباس (رضي الله عنهما) : ((التوبة النصوح ، الندم بالقلب والإستغفار باللسان والإقلاع بالبدن والإضمار على أن لا يعود)) [٣] ، وقال سيدنا عمر ﷺ حينما سئل عن التوبة النصوح : ((أن يتوب العبد من العمل السيئ ، ثم لا يعود إليه أبداً))[٤] .

وقيل معناه : توبةً خالصة فهو من قولهم عسل ناصح ، إذا خلص من الشمع ، وقيل: هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلّفوا ، قال

---

(١) مصنف إبن أبي شيبة : ٤٨:٧ .

(٢) المعجم الأوسط : للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) / ٧٤:٧ ، برقم / ٦٨٩٤، تحقيق / طارق بن عوض الله محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ــ دار الحرمين ، القاهرة ١٤١٥هـ .

(٣) ينظر : لسان العرب : ٢٣٣:١ ، ومختار الصحاح : ٣٣:١ ، والتعريفات : ٩٥:١ ، وكتاب الكليات : ٣٠٨:١ ، وصحاح الجوهري : ٣٣:١ ، واللمع في التصوف : أبو نصر السراج الطوسي (ت١٣٧٨هـ) / ٦٨ ، تحقيق / د. عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور ــ دار السعادة ، بمصر، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

(٤) التعريفات : ٩٥:١ .

الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم [١] .

ويتّسع معنى التوبة إتساعاً حتى يكون فيه معنى الرجوع المستمر مما يكره الله ظاهراً وباطناً ، فالله سبحانه يحب كثير التوبة والرجوع إليه، فقال ﷻ :M ª » ¬ ® ¯ ° L (البقرة: من الآية٢٢٢) ، بل يفرح سبحانه بتوبة عبده أشد من فرح الرجل الذي تُرَد إليه ضالّته حيث قال ﷺ : (لله أشد فَرَحاً بتوبة عبده حين يتوبُ إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدّة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدّة الفرح)[٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالّته إذا وجدها)[٣] ، ((التوبة تنزل في المحل ألأول من جميع مقامات السالكين لطريق الله جل وعلا))[٤] ، قال الإمام القشيري (رحمه الله تعالى) : ((التوبة أول منزل من منازل السالكين ، وأول مقام من مقامات الطالبين)) [٥] .

وشرائط التوبة ثلاثة كما قال الإمام النووي (رحمه الله تعالى) : ((للتوبة ثلاثة شروط : أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم على فعلها ، وأن يعزم عزماً جازماً أن لا يعود لمثلها أبداً ، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو : رد الظلامة إلى صاحبها ، أو تحصيل البراءة منه)) [٦] .

---

(١) مصنف إبن أبي شيبة : ٩٩:٧، برقم / ٣٤٤٩١ .

(٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ١٣٢:٤ .

(٣) صحيح مسلم : ٢١٠٤:٤ ، برقم / ٢٧٤٧ ، باب : في الحض على التوبة والفرح بها .

(٤) المصدر نفسه : ٢١٠٢:٤ ، برقم / ٢٦٧٥ ، باب : في الحض على التوبة .

(٥) الصوفيّة في الإسلام : د . رينولدالت نيكلسون / ٣٤ ، ترجمه وعلّق عليه : نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م .

(٦) الرسالة القشيرية : أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) / ٤٩ ، مكتبة محمد علي صبيح ، بميدان الأزهر، ١٣٦٧هـ / ١٩٥٧م .

فإذا تحققت هذه الشروط الثلاثة في التائب تحققت توبته ، فإذا تحققت توبة العبد فهذا يشير إلى إنتباه قلبه من رقدة الغفلة التي كان فيها ، وسوء الحالة التي كان عليها [1] ، قال تعالى: M I H G F E D C B A @ ? > = L S R Q PO N M L K J L(آل عمران:١٣٥) .

المقصد الثاني: ملازمة الإستغفار: وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة بيّنت أهمية الإستغفار وضرورته في تطهير النفس والقلب من الآثام والذنوب ، فبه تغفر الذنوب وتفرج الكروب والهموم ، وفيه تفتح أبواب الرزق ، قال تعالى : M g f l k j i L(البقرة: من الآية١٩٩) ، وقال ﷻ: M A @ ? > = R Q PO N M L K J I H G F E D C B S L(آل عمران:١٣٥) ، وقال ﷻ : M / . - L 2 1 0 (آل عمران:١٧) ، وقال جل ثناؤه : M e d p o n m l k j i h g f L(النساء:١١٠) .

أما السنة فقد جاءت أيضاً مؤكدةً ذلك ، قال ﷺ : (من لزم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ورزقه من حيث لا يحسب)[2] .

والإستغفار في اللغة : التغطية والستر ، غفر الله ذنوبه أي سترها[3] ، وفي الإصطلاح : ((استقلال الصالحات ، والإقبال عليها ، واستكبار الفاسدات والإعراض
عنها)).

وقال أهل الكلام : ((الإستغفار: طلب المغفرة بعد رؤية قبيح المعصية والإعراض

---

(١) رياض الصالحين : للإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) / ١٨ ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م . وينظر : الرسالة القشيرية : ٤٥ ، والغنية لطالبي طريق الحق : الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت ٥٦١هـ) / ٥٣٨:٢ ، تحقيق / الأستاذ فرج توفيق الوليد ، مطبعة واوفسيت ، بغداد ، ١٩٨٨م .

(٢) ينظر : نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية : السيد مصطفى العروسي / ١١٢:٢ ، الناشر : عبد الوكيل الدروبي وياسين عرفة ، جامع الدرويشة / دمشق .

(٣) سنن أبي داود : ٨٥:٢ ، برقم / ١٥١٨ ، باب : في الإستغفار .

عنها))[1] ، والإستغفار لابد أن يكون معه توبةٌ بالقلب ، أن يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ، ويعزم على أن لا يقصر فيما بعد ويكون غرضه في ذلك تحصيل مرضات الله تعالى لا منافعه العاجلة ، كما أن ذكر الشهادتين لا ينفع إلاّ والقلب حاضر مستقر على معناهما، وأما الإستغفار باللسان من غير حصول التوبة بالقلب فهو إلى الضرر أقرب .

والإستغفار يكون من ذنب ومن غير ذنب ، فإن كان مذنباً فالإستغفار واجب وإن لم يذنب ، إلاّ أنه يجوز من نفسه أنه قد صدر عنه تقصير في أداء الواجبات ، والاحتراز عن المحظورات وجب عليه الإستغفار أيضاً تداركاً لذلك الخلل المجوز[2] .

والإستغفار له ثمرات كثيرة في الدنيا والآخرة ، نذكر منها : ــ

١- غفران الذنوب : فمن رزق الإستغفار لم يحرم المغفرة [3] ، لقوله تعالى :M Î Ï Ð Ñ Ò Ó L(نوح:١٠)، وسئل سهل التستري[4] ﷺ عن الإستغفار الذي يكفّر الذنوب فقال : ((أول الإستغفار الاستجابة ، ثم الإنابة ، ثم التوبة ، فالاستجابة أعمال الجوارح ، والإنابة وأعمال القلوب ، والتوبة إقبال على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه، ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة والرضا زاده ، والتوكل صاحبه ثم نظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش))[5].

٢- النجاة من عذاب الله وعقابه ، قال تعالى : M À Á Â Ä ½ ¾ ¿ À Á Â Ä L Å Æ Ç È É (لأنفال:٣٣) ، قيل لو استغفروا الله لم يعذّبوا ، قال المدائني : عن بعض العلماء قال : كان رجلٌ من العرب في زمن النبي ﷺ

---

(١) ينظر : لسان العرب : ٢٥:٥ .

(٢) التعريفات : السيد الشريف الجرجاني / ١٠ ــ دار الكتب العربية ، بيروت / لبنان ، ٢٠٠٠م ط / ١ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٥٥:٥ .

(٤) ينظر : تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) : نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي / ٢٣٦:٢ ، تحقيق / د . محمود مطرجي ــ دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

(٥) سهل التستري : هو سهل بن عبد الله يونس التستري ، شيخ العارفين الصوفي الزاهد ، لقي ذا النون المصري . ينظر : وفيات الأعيان : ٢٧٢:١ .

مسرفاً على نفسه لم يكن يتحرّج ، فلما أن توفي النبي ﷺ لبس الصوف ورجع عما كان عليه وأظهر الدين والنسك ، فقيل له : لو فعلت هذا والنبي ﷺ حيٌّ لفرح بك، قال : كان لي أمانان فمضى واحد وبقي الآخر، قال الله تبارك وتعالى: M ½ ¾ ¿ À Á Â L، فهذا أمان والثاني : M È Ç Æ Å Ä É L، إذ لا ذنب مع الإستغفار ولا عذاب من غير ذنب [١] ، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (ليس صغير بصغير مع الإصرار، وليست كبيرة بكبيرة مع الإستغفار ، طوبى لمن وجدني كان له يوم القيامة إستغفار كثير)[٢].

وقال الإمام علي ﷺ : ((العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل: وما هي ؟ قال الإستغفار ، وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبداً الإستغفار وهو يريد أن يعذّبه))[٣].

٣- التخلّص من الران الذي يصيب القلب بسبب ارتكاب الذنوب ، وهذا لا يكون إلاّ بالإستغفار فهو الذي يجلي القلب من صدئه ، حيث قال ﷺ : (إن للقلوب صدأ ، قالوا : فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: جلاؤها الإستغفار) [٤] .

٤- الخروج من كل ضائقة ، والسعة في الرزق ، لقوله ﷺ : (من لزم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ورزقه من حيث لا يحسب) [٥].

٥- نزول الأمطار ، وكثرة الأموال والأولاد ، وزيادة القوة ، ودخول الجنة وهذا كله يجمعه قوله تعالى : M Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô ! " # $ % & ' ( ) * + , - . L (نوح:١٠/١١/١٢) ، وقال تعالى : M Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó L (هود:٥٢) .

---

(١) إحياء علوم الدين : ٤٣:٤ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ٣٩٩:٧ ، وروح المعاني : ٢٠٩:٩ .

(٣) مسند الشاميين : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : ٣٨٠:٤ ، برقم / ٣٦٠٦ ، تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ط/١

(٤) إحياء علوم الدين : ٣١٣:١ .

(٥) الحديث مر تخريجه هامش رقم : (١٢١) .

المقصد الثالث: ملازمة الصحبة الصالحة:الأدلة على أهمية الصحبة وأثرها من القــرآن الكـــريم: قـــــال تعـــــالى : M B C D E F G H I L (التوبة:١١٩) ، والصادقون هم الذين وصفهم الله بأنهم من صفوة المؤمنين ، بقولــه ﷻ M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L (الأحــزاب:٢٣) ، وقــال ﷻ :M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > L (الكهف:٢٨) ، أمر سبحانه بصحبة الفقراء الذين انقطعوا لخدمــة مــولاهم ، وفائدتها منه ﷻ تعود عليهم ، وذلك لأنهم عشّاق الحضرة وهو ﷻ مرآتها وعرش تجلّيهــا ، ومعدن أسرارها ، ومشرق أنوارهــا، فمتى رأوه ﷻ عاشوا ومتى غاب عــنهم كئبــوا وطاشوا ، وأمــا صحبة الفقراء بالنسبة إلى غيره ﷻ ففائدتها تعود إلى من صحبهم فهــم القوم لا يشقى بهم جلسهم ، قــال عمرو المكي : صحبة الصالحين عــيش أهــل الجنــة يتقلّب معهم جليسهم من الرضا إلى اليقين ، ومن اليقين إلــى الرضا [١] ، وقــال الإمــام الرفاعي [٢] رحمه الله تعالى في برهانه : ((من جلس مــع الصالحين ، زاده الله الرغبة في الطاعة)) [٣] .

وقال تعالى : M l m n o p q r L (الزخرف:٦٧) .

والأدلة على أهمية الصحبة وأثرها من السنة النبوية : قال ﷺ : (إنمــا مثــل الجلــيس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إمــا أن يحــذيك (أي

---

(١) الحديث مر تخريجه هامش رقم : (١٣٢) .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٥:٣٠٧ .

(٣) الإمام الرفاعي : أبو العباس أحمد بن أبي الحسين علي بن بن أبي العباس أحمــد المعــروف بــإبن الرفاعي، كان رجلاً صالحاً فقيهاً شافعيّ المذهب ، أصله من العرب وسكن في البطحاء بقرية يقال لها أم عبيدة وانظم إليه خلق عظيم من الفقراء وأحسنوا الإعتقاد فيه وتبعوه ، والطائفــة المعروفــة بالرفاعيـــــــة والبطائحية من الفقراء ، توفي يوم الخمــيس الثــاني والعشــرين مــن جمــادي الأولـــــــــــــــــــــــــــــى سنـــــة= =(٥٧٨هـــ) بأم عبيدة وهو في عشر السبعين رحمه الله تعالى . ينظر : وفيات الأعيان : ١:١٧١ ، برقم / ٧٠ .

يعطيك) وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة) [١] .

وعن حنظلة الأُسيدي ، وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت نافق حنظله ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال : قلت نكون عند رسول الله ﷺ يُذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضّيعات فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضّيعات نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظله ساعة وساعة ثلاث مرات[٢] .

وهذا يدل على أثر حال من يصحبه الإنسان عليه ، فإن كان حال من يصحبه الخشبة والذكر والصلاح فإن ذلك سينتقل إلى الصاحب الآخر فيكون من نتائجه حصول الذكر لما يراه من المهابة التي ألبسه الله إياها [٣] ، والحال الذي ورثه عن رسول الله ﷺ ، لأنه كما قال ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء) [٤] ، وبرؤيتهم يُذكر الله تعالى ، قال ﷺ : (إن لله عباداً إذا رؤوا ذُكرَ الله)[٥] .

---

(١) البرهان المؤيد: أحمد الرفاعي الحسيني/ ١٠٩:١ ، تحقيق / عبد الغني نكه مي ــ دار الكتاب النفيس، لبنان ، ١٤٠٨هـ ط / ١ .

(٢) صحيح البخاري : ٧٤١:٢ ، برقم / ١٩٩٥ ، باب : في العطار وبيع المسك.

(٣) صحيح مسلم : ٢١٠٦:٤ ، برقم / ٢٧٥٠ ، باب : فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وحواز ترك ذلك في بعض الأوقات والإشتغال بالدنيا .

(٤) ينظر : النور المبين على المرشد المعين : لمحمد بن يوسف / ١٧٨ ، المطبعة الأميرية ، دمشق ، ١٣٥٧هـ .

(٥) سنن الترمذي : ٤٨:٥ ، برقم / ٢٦٢٨ ، باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة .

قال الإمام الرفاعي رحمه الله تعالى : ((ذكر الله يثبت في القلب ببركة الصحبة)[1] ، وعن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير ؟ قال : (من ذكركم الله رؤيته ، وزاد في عملكم منطقه ، وذكركم في الآخرة عمله) [2] ، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تصاحب إلاّ مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلاّ تقي) [3] .

والصحبة : العشرة ، صحبه عاشره ، وهم أصحاب وأصاحيب وصحبان وصحاب وصحابة ، واستصحبه دعاه إلى الصحبة ولازمه والصاحب المعاشر [4] ، والصحبة : مطلق الإجتماع وإن كانت تعم القليل والكثير ، لكن العرف خصصها لمن كثرت ملازمته وطالت صحبته [5] .

والصحبة الصالحة لابد منها لصلاح الحال مع الله وتزكية النفس ، ولابد لمن أراد ذلك بأن يُجِد في البحث عنها ويتّخذ له مرشداً وارثاً مُحمّدياً يأخذ بيده إلى الإرشاد والتربية والتزكية ويدلّه إلى طريق الخير .

قال بعض العارفين : ــ

لا تسلُكنَّ طريقاً لَستَ تَعرِفُها بلا دَليلٍ فَتَهوى في مَهاويها [6]

لأن الدليل والمرشد يوصل السالك إلى ساحل الأمان ويجنبه مزالق الأقدام ومخاطر الطريق لأن هذا الدليل والمرشد قد سبق له سلوك الطريق على يد دليل عارف بخفايا السير ، واطلع على مجاهله ومآمنه وبقي سائراً معه إلى أن أوصله إلى الغاية المنشودة ،

---

(١) الأولياء : عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي أبو بكر (ت ٢٨١هـ) / ١٥:١ ، برقم برقم / ١٧ ، تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٣هـ ط / ١ .

(٢) السير والمساعي في أوراد وأحزاب الإمام الرفاعي قدس الله سره / ٢١١ ، جمع وترتيب : إبراهيم إبراهيم الراوي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ط / ١ .

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الهيثمي / ٢٢٦:١٠ ، تحقيق / عبد الله درويش ــ دار الفكر ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

(٤) سنن الترمذي : ٢٧٩ ، تحقيق وشرح / أحمد شاكر القاضي ــ دار الحديث ، القاهرة .

(٥) ينظر: لسان الميزان: ٥٠٩:٢ ، والقاموس المحيط : ١٣٤:١ ، والمحكم والمحيط الأعظم : ١٦٧:٣ ١٦٧:٣ .

(٦) ينظر : نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية : ٣١:٤ ، وكتاب الكليات : ٥٥٨:١.

ثم أذن لـــه بإرشاد غيره . قال الإمام إبن عطاء الله الإســكندري [١] : ((وينبغـــي لمـــن عـــزم على الاسترشاد وسلوك الرشاد أن يبحث عـــن شيخ من أهـــل التحقيـــق ، ســـالك للطريق ، تارك لهواه ، راسخ القدم فـــي خدمة مولاه ، فإذا وجـــده فليمتثل ما أمر ولينته عما نهى عنه وزجر)) [٢] ، وقـــال أيضاً : ((لا تصحب مـــن لا ينهضك حالـــه ، ولا يدلك على الله مقاله)) [٣] .

ولهذا المرشد صفات وشروط يجب توفرها فيه ليكون أهـــلاً لأن يقتدى بـــه فـــي سلوك الطريق ، فمن هذه الشروط : ــ

١- الفقه في الـــدين ، قـــال تعـــالى : M ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È L Ï Î Í Ì Ë Ê É L(التوبـــة: مـــن الآيـــة١٢٢) ، إذن الإرشاد يقتضي فقهاً في الدين ، ثم إنذاراً فمن لـــم يكن فقيهاً لا يصلح لمقام الإنذار ، ومن لم يقم بمهمة الإنذار لا يؤدي حق الله في فقهه، وذلك مظهر من مظاهر الوراثة الكاملة لرسول الله ﷺ، قـــال تعـــالى : M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] L (النساء:١٦٥) ، والتفقه فـــي الدين يقتضي فقهاً في الكتاب والسنة وفقهاً فـــي الإيمان والإسلام والإحســـان والتقـــوى والشـــكر [٤] ، فهؤلاء الذين نفروا ليتفقّهوا في الدين وليتعمّقوا في السلوك التربوي السليم ، والـــذين تكاملت صفاتهم النفسيّة وازداد قربهم إلـــى الله تعالى سلوكـــاً وفكراً ونضوجاً ، فهم الذيـــن يكونون قادريـــن علـــى تزكية النفوس وتطهيرها من أمراضها المتعددة [٥] ،

---

(١) لطائف المنن والأخلاق : الإمام الشعراني / ٥١:١ ، منشورات دار الحكمة ، دمشق ، ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥م .

(٢) إبن عطاء الله الإسكندري : هو تاج الدين إبن عطاء الله الإسكندري ، توفي ســـنة (٧٠٧هـــ) ، الزاهد المذكر الكبير القدر وكان ينفع الناس بإشاراته ولكلامه حلاوة في النفـــوس وجلالـــة ، لـــه تصانيف في التصوّف . ينظر : الطبقات الكبرى : الشعراني / ٢٠:٢ ، المطبعة العثمانية ، القاهرة (د.ت) .

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح : إبن عطاء الله الإسكندري / ٣٠ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبـــي ١٣٨١هـــ .

(٤) ينظر : تربيتنا الروحية : سعيد حوى / ١٨٣ ــ دار السلام ، القاهرة ١٤٢٨هـــ / ٢٠٠٧م ط / ٩ ٩ .

(٥) ينظر: بين التصوّف والحياة : الشيخ عبد الباري الندوي / ٢١٧ ، مكتبة دار الفتح ١٩٦٣م ط / ١ ١ .

، ومن لم يحسن التربية على هذا كله لا يصلح لمقام الإرشاد ، ومن لا يحسن تعليم هذا كله وغيره لا يصلح لمقام الإرشاد الكامل ، أي مقام الشيخ الذي يخدم خدمة كاملة في موضوع السير إلى الله ﷻ [١].

٢- ((أن يكون عارفاً بالله تعالى)) [٢] ، فالشيخ العارف بالله يختصر لك طريق السلوك فيعطيك خلاصة ما وصل إليه ، ويعينك على كشف خفايا نفسك وأمراضها لتتخلّص منها ولا ريب في أنك بصحبة الشيخ تأخذ منه حالاً ترتقي به ، ولذا قيل : لا تصاحب من لا ينهضك حاله ، ويدلك على الله مقاله ، وقلما يعرف الرجل نقائص النفس وعلل الباطن، وإذا عرفت وفهمت فقلّما يعرف الرجل طرق علاجها وإصلاحها ، وإذا علم ذلك وعرف التفسير إذن العمل به لصراع النفس ، ومن هنا يحتاج الإنسان إلى الشيخ العارف الكامل ، لأنه هو الذي يعرفه بهذه الأمور بعد ما يتفهمها ويتعرّفها ثم يصف لها علاجاً وتدابير لمداواتها[٣] .

٣- أن يكون حكيماً في دعوته إلى الله ، قال تعالى : M { z y x w v
ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ L (النحل:١٢٥) ، وهذا من بعض واجبات النبوّة ، ومن بعض صفات الوارث أي الشيخ في الإصطلاح الصوفي، فلا بد للشيخ أن يكون حكيماً يدعوا إلى طريق الله بالحكمة، والحكمة معنى زائد على مجرد العلم ، قال تعالى : M ¶ µ ¸
¹ ¼ ¼ ½ ¾ ¿ À Á Ã Ä Å Æ Ç L(البقرة:٢٦٩) ، فالحكمة عطاءٌ من الله سبحانه فالعلم بالكتاب والسنة وحده لا يكفي بل يحتاج إلى قول الكلمة المناسبة في محلّها، والتصرّف المناسب ضمن حدود الشريعة ومن ذلك قضية الدعوة، والحكمة عطاء ربّاني وتحتاج إلى توفيق ربّاني في الأنفاس والحركات ، فينبغي أن يكون قادراً على النقاش وإقامة الحجة بالطريقة الحسنة والطريقة الحسنى، وذلك كلّه من أدب الشيخ المرشد ولا يتم هذا للشيخ إلاّ بعلم وتربية ومجالسة وذكر كثير، قال تعالى: M É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á
Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê L (الأحزاب:٢١) ، إذن ثلاثة أمور توصل إلى

---

(١) ينظر : تربيتنا الروحية : ١٨٤ .

(٢) حقائق عن التصوّف : ٥٣ .

(٣) ينظر : بين التصوّف والحياة : ٢١٨ .

التأسي الكامل برسول الله ﷺ (رجاء الله واليوم الآخر والذكر الكثير) ويأتي تبعاً لذلك الكمال كله [1] .

٤- أن يرث عن رسول الله ﷺ حال التزكية والتربية ، قال تعالى : M § ¨ © ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª L [2] (البقرة:١٥١) ، فكان عليه الصلاة والسلام يرقي أحوال أصحابه بحاله وببركة صحبته فكانوا خير أمة أُخرجت للناس ، فكان يتصرّف بقلوبهم ويملؤها يقيناً وصفاءً بما أعطاه الله من منحة التصرّف في القلوب ، فبنور قلبه يتصرّف بإذن الله في قلوب الناس فيجعله ذاكراً والنفس زاكيةً ، فهذا فضالة بن عمير الليثي [2] كان قلبه مليئاً بالكره لرسول الله ﷺ حتى أنه كان يحدّث نفسه بقتل رسول الله لولا توجّه رسول الله ﷺ بقلبه على قلب فضالة ، فقد روى ابن هشام ((أن فضالة بن عمير ، أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله، قال : ماذا كنت تحدّث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ، فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه))[3] .

بل حتى خواص أصحاب رسول الله ﷺ وهما سيدنا حنظلة الأُسيدي وأبو بكر (رضي الله عنهما) شكوا حالهم إلى رسول الله ﷺ ووصفوا حالهم بالنفاق لما كانوا يرون من ترقّي أحوالهم عندما يكونون عنده ، ومن توقفها عندما يتركونه ويعافسون الأزواج والأولاد والضّيعات وينسون كثيراً فقال ﷺ : (والذي نفسي بيده إن لو تدومون

---

(١) ينظر : تربيتنا الروحية : ١٨٤ .

(٢) فضالة بن عمير الليثي : هو فضالة بن عمير بن الملوح الليثي ، أختلف في إسم أبيه فقيل : فضالة بن عبد الله ، وقيل : فضالة بن وهب بن بحرة بن بحيرة بن مالك بن عامر من بني ليث بن بكر بن عبد مناه الليثي . ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني / ٣٧٢:٥ ، تحقيق / علي محمد البجاوي ــ دار الجيل ، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ط / ١ . وأسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري / ٣٨٦:٤ ، تحقيق/ عادل أحمد الرفاعي ــ دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ط / ١ .

(٣) من عقائد أهل السنة : الأستاذ محمد عبد الكريم مشرف/٨٦، منظمة الدعوة الإسلامية ١٩٩٥م ط/١.

علـــى مـــا تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفـــي طـــرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات) [١] ، فنفهم من ذلك أن لرسول الله ﷺ حـــالاً يترقّى بـــه أصحابه حتى أن مُلازم الجلوس عند رسول الله ﷺ يصل إلى ما يصل إليـــه الذاكر الدائم ، أي إلى حالة يمكن أن تصافحه بها الملائكة ، وقد ذكر أصحاب رسول الله ﷺ في روايات صحيحة كيف أنهـــم أنكروا قلوبهم بعد أن فرغوا من دفن رسول الله ﷺ ، فعن أنس بن مالك [٢] ﷺ قـــال : ((لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي ﷺ المدينة أضـــاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه النبي ﷺ أظلم منها كل شيء ، وما نفضـــنا عـــن النبي ﷺ الأيدي إنّا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا)) [٣] .

قال فـــي تحفة الأحوذي : يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم علـــى ما كانت عليـــه مـــن الصفاء والألفة ، لإنقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدّهم من الرسول ﷺ مـــن التأييـــد والتعليم ، ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق [٤] . كل هذا يدل على أن الأحوال القلبية كانت محسوسة من خلال مجالسة رسول الله ﷺ ووجوده بين الصحابة وأن من مظاهر هـــذا الحال أن يستشعر الصحابي وكأنه يرى الجنة والنار رأي العـــين ، فمن هـــذا ندرك أن الشيخ الوارث ما لم يكن عنده من هذا الحال فإنّه لا يكون وارثاً نبويّاً كاملاً .

من خلال هذا كله ندرك بعض صفات الولي المرشد أو الوارث الكامل ، أنـــه ولـــي مرشد حكيم ، داعيةً إلـــى الله ، معلِّمٌ لآيات الله ، مُعلِّمٌ للكتاب والسنة ، قـــادر علـــى تزكية الأنفس وترقية الأحوال ، قادر على النقل إلى مقامات الإسلام بإذن الله [٥] .

الفصل الثاني:القلب ، صحته ومرضه بين الطب والشرع: إن ما يعتـــري القلـــب مـــن

---

(١) الحديث مر تخريجه هامش رقم : (١٤٨) .

(٢) أنس بن مالك : هو أنس بن مالك بن النظر البخاري الخزرجي الأنصاري ، صاحب رســـول الله ﷺ وخادمه خدمه إلى أن قبض ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات بها من مات من الصحابة ، له في الصحيحين (٢٢٨٦) حديث . ينظر : صفة الصفوة : ٢٩٨:١ .

(٣) الأحاديث المختارة : أبو عبد الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلـــي المقدســـي / ٤١٨:٤ ، تحقيق / عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٤١٠هـــ ط / ١ .

(٤) ينظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : لأبي العلا محمد عبد الـــرحمن إبـــن عبـــد الـــرحيم المباركفوي (ت ١٣٥٣هـــ) / ٦٣:١٠ .

(٥) ينظر : تربيتنا الروحية : ١٨٥ ــ ١٨٦ .

مشاكل وأمراض عضوية فإن الطب هو سبيل الخلاص والشفاء من الأسقام التي تصيبه ، لكن الشرع وضع وقاية من هذه الأمراض حتى لا يضطر الإنسان ويلجأ إلى الطب ، لذلك يعتبر الشرع الطبيب الأول قبل طب الأدوية لأن الانفعالات العصبيّة والغضب والحقد والحسد وغيرها من وأمراضاً المعنوية التي تصيب القلب بسبب ابتعاده عن الشرع وهذه لها آثار جانبيّة على القلب قد تسبب الجلطات وارتفاع ضغط الدم وأمراض أخرى .

فمثلاً الغضب والانفعال يؤثّر تأثيراً مباشراً على عمل القلب ، بل على سلامته عضويّاً، لأن الغضب يزيد من ضغط الدم في الشرايين ومن ثم سرعة ضربات القلب وهذا يجهد القلب ويكون عرضةً للإصابة بالنوبات القلبيّة والأمراض العضويّة التي تحدث خللاً كبيراً مما له أثره على سائر أعضاء الجسد ، وخلاصة الأبحاث الطبيّة والدراسات العلميّة الحديثة تثبت ذلك ، حيث تقول تلك الدراسات : ((أن هناك العديد من التغيرات التي يحدثها الغضب في جسم الإنسان ، فالغدة الكظريّة التي تقع فوق الكليتين تفرز نوعين من الهرمونات وإفراز هذا الهرمون يؤثّر على ضربات القلب وتتسارع ويزداد امتلاك الأوكسجين ويؤدّي إلى ارتفاع ضغط الدم ، وهذه الهرمونات تزداد بالغضب والانفعال والوقوف معه ، وتنخفض بالجلوس)) [١] ، ((وأن الإنسان الذي أعتاد على الغضب يصاب بارتفاع ضغط الدم ، ويؤدّي إلى الإضرار بشرايين القلب والاحتمال بالإصابة بأزمات قلبيّة قاتلة))[٢]، ((وأن الذين تلقّوا تدريباً على التسامح والصفح تحسّن لديهم تدفق الدم إلى القلب))[٣]، ((إنّ حمل الضغينة في الصدر يورث الشقاء لصاحبه ويُسهم في نمو الأمراض العضويّة في جسده)) [٤] .

إنَّ الميول الإنسانيّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : ــ

١- الميول الشهوانيّة ، وتؤدّي إلى الثورة والغضب .

٢- الميول التسلطيّة ، وتؤدّي إلى الكبر والغطرسة ، وهي الرياسة .

٣- الميول الشيطانيّة ، وتسبب الكراهة والبغضاء للآخرين .

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة : يوسف الحاج أحمد / ٧١٠ ــ ٧١١ ، دار إبن حجر ، دمشق ٢٠٠٣م ط / ٢ .

(٢) المصدر السابق : ٧١٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٧١٣ .

(٤) المصدر السابق: ٧١٤ .

ومهما كانت ميول الإنسان ، فإنّــه يتعرّض للغضب فيتحفّز الجسم ويرتفع ضــغط الــدم فيصاب بالأمراض النفسيّة والبدنيّة مثل السكّر والذبحة الصدريّة [١] .

وأكّدت الدراسات العلميّة ، أن التعرّض للضغوط النفسيّة والكــروب أو الانفعــالات الشديدة يمكن أن تثير نوبة وذبحة صدريّة ، وهناك دلائل علميّة حديثة تشــير إلـــى أن الذين يغضبون بشدّة هم أكثر عرضة للإصابة بمرض شرايين القلــب، ولقـــد شــخّص المصطفى ﷺ المرض وأعطى العلاج لكـــي يأتي بعد ذلك الطب والعلم الحــديث ويثبــت بـــأن الغضب بكل جوانبـــه وأسبابه ودوافعه يؤدي بالنتيجة إلى الإصابة بأمراض القلــب العضوية ، فكان ﷺ يوصي بعدم الغضب للتخفيف من الإصابة بهــذا المــرض الخطيــر وعواقبه على الجسم كافة[٢] .

والقرآن الكريم فيه علاج لأمراض القلب العضوية والمعنوية وانطلاق العــلاج مــن القرآن يجعل الأمل كبيراً من إيجاد الحل الأمثل للخروج مــن الأزمات التي وقــع ويقــع فيها المرضى والأطباء علـــى حــد سواء ، فالعلاج أولاً بالقرآن الكريم بإتبــاع المــنهج القرآني الذي يخاطب أصحاب القلوب المريضة الذين قــد مرضــت قلوبهـــم معنويّــاً بالنفاق والكفر والشك والحســد والحقد والغضب وغيرها فكانت هــذه الأمراض وغيرها سبباً فـــي دخـــول أمراض عضويّة عضلية أصابت وتصيب القلب فيحدث الخلل فـــي عملية تقل الدم بين الشرايين والأوردة التي تقوم هي أيضاً بنقلــه بــين أعضــاء الجســم الأخرى ، فالعلاج العضوي العضلي من أمراض القلب التي أصــبحت مــن الأمــراض المزمنة والتي يذهب ضحيّتها عدد كبير من المرضى يوميّاً فــي العــالم بأســره ، لـــه ارتباط بأمراض القلب المعنويّة التي طبع الله عليها بسبب الكفر والنفــاق ومعصية الخالق ، فالقلب السليم من النفاق والحسد والكبر والحقد والتكبر والغضب سليم مـــن الجلطــات والنوبات وتصلّب الشرايين وغيرها ، فأين العلاج القرآني وأين الــذين يتخــذون مـــن القرآن منهجاً للعلاج ، ولا سيما القــرآن الكريــم يحدّثنا بقولــه تعالى : M **T S R** L **U V W X Y Z [\ ] ^ _** L (يــونس:٥٧) ، ويحــدثنا أيضاً في آية أخرى بقولــه : M وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا **¢** L (الاسراء:٨٢) ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تعليقه على هذه الآيات قــولاً

---

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٧١٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٢٥ .

رائعاً حيث يقول : ((القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبيّة والبدنيّة وأدواء الدنيا والآخرة ، وإذا أحسن العليل التداوي به ووصفه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً ، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها ، أو على الأرض لقطعها فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلاّ وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه)) [١] ، وقال في موضع آخر أيضاً : ((فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته وهو الإيمان وأوراد الطاعات التي تحميه عن المؤذي الضار ، وذلك باجتناب الآثام والمعاصي وأنواع المخالفات)) [٢]

وكذلك بالنسبة للأمراض الأخر كالرياء والكبر فلكل واحد منهما علاج ، فالرياء داء ودواءه (إيّاكَ نَعبُد) والكبر داء ودواءه (إيّاكَ نَستَعين) [٣]، ولعل من أهم الأسباب التي بها اشتد البلاء والإبتلاء وبهما امتلأت الدور والطرقات بالمرضى والأمراض التي لم تكن في أسلافنا، هو العدول عن الدواء الشافي النافع الذي وصفه الشارع [٤] ، فليس هناك على وجه الأرض مرض أو داء لا دواء له وهذا أمر لا شك فيه ، لأن النبي ﷺ يقول : (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ) [٥] ، وهو القائل أيضاً : (ما أنزل الله من داء إلاّ أنزل له دواء علم ذلك من علمه أو جهل ذلك من جهله ، إلاّ السام قالوا : يا نبي الله وما السام ؟ قال : الموت) [٦] ، وهذا يعطي النفس أملاً بالعلاج والشفاء والرجاء بالتخلّص من الداء حيث يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى) : ((إن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيل تعلّق قلبه بروح الرجاء ، وقويت نفسه وكان ذلك سبباً في قهر المريض ودفعه وأمراض الأبدان على وزن أمراض القلوب ، وما جعل الله للقلب مرضاً إلاّ جعل له شفاء بضدّه)) [٧] .

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله بن القيم / ٣٢٢:٤ ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦م ط / ١٤ .

(٢) إغاثة اللهفان : ١٧:١ .

(٣) ينظر : مدارج السالكين : ٥٤:١ .

(٤) ينظر : تحريم آلات الطرب : ١٥١:١ .

(٥) صحيح مسلم : ١٧٢٩:٤ ، برقم / ٢٢٠٤ ، باب : لكل داء دواء واستحباب التداوي .

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي / ٨٤:٥ ، باب : خلق الداء والدواء ــ دار الريان للتراث / دار الكتاب العربي ، القاهرة ــ بيروت ١٤٠٧هـ .

(٧) زاد المعاد : ١٢:٤ .

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد الكائنات محمـد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلـى آلـه وصحبه الطيبين الطاهرين والتـابعين وتـابعيهم ومـن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : ــ

فقد نتج عن هذه الدراسة عدّة نتائج أُبينها فيما يأتي : ــ

١- ان صلاح الأجساد بصلاح القلوب ، فعلى الإنسان أن يهتم كثيراً بصـلاح قلبـه ويبدأ به قبل جسده لقولـه ﷺ : (ألا وإن فـي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلـه ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [١] .

٢- ان القلب كلما ابتعد عـن الشرع كثر اضطرابـه وبدت آثاره علـى الجسـد بكثرة الأمراض وتدهور الصحة نفسيّاً وجسديّاً .

٣- على الإنسان أن لا يكثر من الكلام بغير ذكر الله ليتجنّـب قسـوة القلـب ، وأن يرفع من قلبه الحقد والغل على المسلمين ، وحب الدنيا والجاه والكبـر ، لأنهـا أمراض تمنع مـن صلاح القلب وبالتالي يكون بعيداً عن الله سبحانه .

٤- المبادرة إلـى ترك الذنوب ، وملازمة صحبة الصالحين واتخاذ مرشـداً يأخـذ بالقلب إلى طريق النجاة ، فبذلك صلاح القلب والجسد .

٥- إن أمراض القلب من حقد وغضب وغبرها هي من أسباب مرضه عضويّاً .

٦- إن صلاح القلب بعد فساده أمر ممكن إذا انتبـه الإنسـان إلـى حالـه وبـادر بالإصلاح فلا حجة لمن يبقى مصرّاً على ما هو عليه بادعاء أنه لا سـبيل إلـى صلاحه .

٧- قلب الإنسان يتأثر بكل ما يحيط به وبحال من يجالسه لذا من أراد صلاح قلبـه فعليه مجالسة أهل الأحوال والمقامات الربانيّة وطلاّب الآخرة .

٨- أن سلامـة القلب وصحته هـي ما ينفع الإنسان يـوم القيامة فلا ينفعـه كثـرة الأموال والأولاد ، قال تعالى : M : ; > = < ? @ A B C D E F L (الشعراء:٨٨/٨٩) .

---

(١) الحديث مر تخريجه هامش رقم : (٩) .